TAS_9533_39/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

آداب وعلوم إنسانية

قسم الحضارة العربية الإسلامية

2013
Faculté des Lettres...

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب

الموسومة:

البعث الحضاري عند مالك بن نبي

من إعداد :

❖ ولداي تبينة إبتسام.

تحت إشراف الأستاذة :

- شافع بلعيد نصيرة.

السنة الجامعية

2012/2011

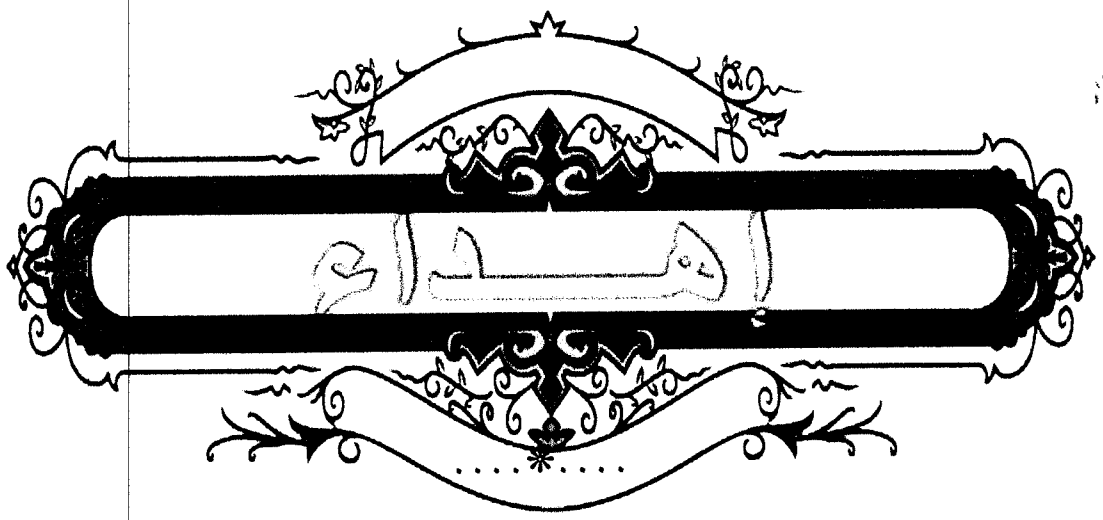

لك الحمد يا ارحم الراحمين

و يا احكم الحاكمين

و يا مقيمها بالحق فوق الخلق أجمعين

إلى كل من تحركت أنامله لتعمل لا تعبت

إلى كل من راقبت عيناه ما تفعله يداه

إلى كل من جعل بصيرته رقيبا على بصره

....*....*....*....

اهدي عملي هذا إلى الوالدين العزيزين و إلى رفيق دربي و حياتي زوجي ميلود

وإلى أختاي العزيزتين فاطمة الزهراء و زهية،

و إلى ابنتها جيهان و إلى أخي بلال و عمي علال و قدور وزوجاتهم و إلى عمتي

خيرة و مغنية و فاطمة وإلى ابنة خالتي مختارية و نسرين والى كل الأصدقاء

خاصة فاطمة لحمر،سارة، فاطمة وإلى صديقي العزيز إسماعيل وكل من

شاركني هذا العمل المتواضع.

وشكرا.

التشكرات

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على أشرف المرسلين أما بعد :

بأعلى سمات التواضع والاحترام و التقدير، أتقدم بخالص الشكر

و التقدير إلى جميع الأساتذة الذين لم يبخلوا علينا بإسداء النصيحة

و التوجيه وخاصة إلى الأستاذة المشرفة: شافع بلعيد نصيرة .

كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر إلى هاملي إسماعيل الذي لم

يتأخر على ببذل يد المساعدة و المآزرة

في هذا العمل المتواضع.

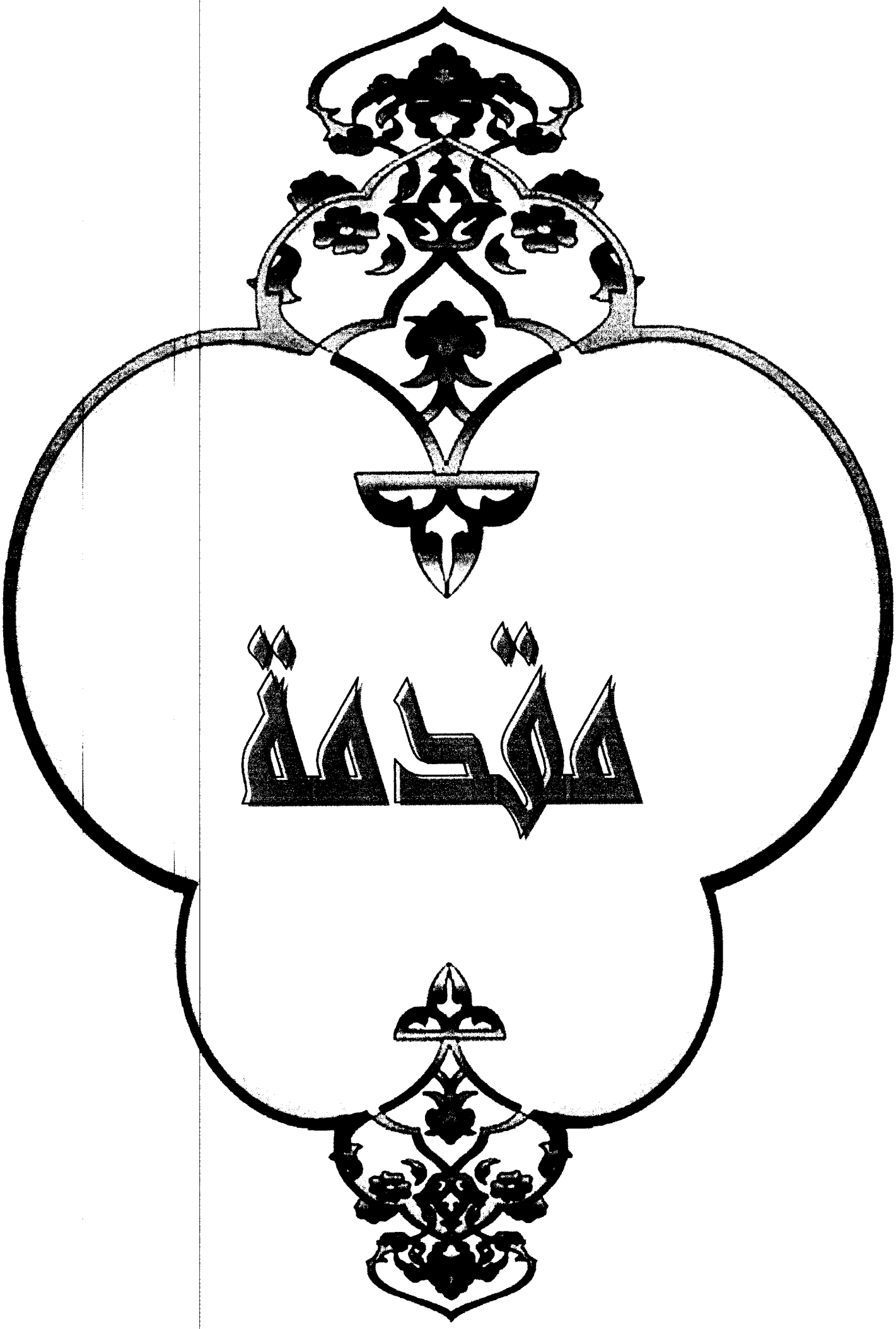
مقدمة

مقدمة

"إن السياسة الحقيقية التي تغير وجه الأشياء، ووضع الشعب، ليست المطالبة بحق، ولكنها في القيام بواجب".

"الحضارة ما هي إلا نتاج الثقافة، والثقافة ليست بدورها مجموعة معارف، ولا نبوغا في المعرفة، وإنما سلوك يشترك فيه المجتمع من أدنى السلم الاجتماعي إلى أعلاه".

هي مقولات وأخرى لشخص منحه الله بسطة في العلم، بوأته أعلى المراتب العلمية وهو على أرض المستعمر لبلده، وجعله يتحداه في عقر داره، شخص عرف كيف يفر من الفكر الميت والمميت ، ليقوم بتحليله تحليلا عميقا مبينا شروط نهضته، ومنيرا لوجهته نحو عالم فعال يحتل فيه مكانة تعيده إلى سابق عهده في قيادة الحضارة.

لم يكن ذلك في الإطار الواسع فقط، بل حتى في حدود البلاد التي ولد وتربى على أرضها، وعشق شعبها وترابها، حتى أنه حينما سئل مرة لماذا لم تكن مهندسا وقد درست الهندسة، فأجاب: بلادي في هذه المرحلة تحتاج إلى مفكر أكثر من مهندس.

إنه مالك بن نبي أو كما يسميه البعض بابن خلدون القرن العشرين، نظرا لعمق تفكيره، وتحليله للظواهر واستشرافها، ولكن ورغم كل هذا وذاك باتت هذه الشخصية تعيش بعيدا عن هامش التعريف بها، وفي الظل المغيب لها عن الساحة الثقافية والإعلامية. فمن هو هذا النابغة ؟

وكيف ذاع صيته ليبلغ آفاق العالم ليس الإسلامي منه فقط بل وحتى الغربي المتقدم؟ وكانت خطة العمل مقسمة إلى ثلاثة أطر:

الإطار المنهجي وضمنا هذا الإطار أسباب اختيار الموضوع الذاتية منها والموضوعية، ثم تطرقنا إلى النوع الصحفي المختار، أين تحدثنا عن ظهوره، تعريفه، وكذا شخصيات البورتري وخصائصه. وتحدثنا في الإطار المنهجي كذلك عن الصعوبات التي واجهتنا في إنجازنا لهذا العمل.

والإطار النظري كان خصصناه للحديث عن سيرة حياة شخصية البورتري المتمثلة في مالك بن نبي، من حيث المولد، النشأة، وظروف التعلم، بالإضافة إلى مجمل الملامح التي ميزت شخصية هذا المفكر، وكذا ما قاله عنه معاصروه والمهتمون بفكره.

أما عن **الإطار التطبيقي** فقد تم الحديث فيه عن مجمل حيثيات إنجاز العمل في الجانب التطبيقي أين قمنا بإعطاء البطاقة الفنية للبورتري المصور، ومختلف المراحل التي مررنا به في إنجازه بدءا: بمرحلة ما قبل التصوير أين تحدثنا عن الظروف التي سبقت البدء في العمل من جمع للمعلومات وتحضير الأدوات اللازمة لكل مراحل إنجاز البورتري، وكذا تحديد مواعيد المقابلات، وتحدثنا بعد ذلك عن السينوبسيس. تلتلها مرحلة التصوير أين وضحنا ظروف تصوير البورتري والأماكن التي تصويرها أو إجراء مقابلات بها. وآخر مرحلة في الإطار التطبيقي كانت مرحلة ما بعد التصوير أين تحدثنا

عن الخطوات العملية المتمثلة في مرحلة المشاهدة، المونتاج، التعليق، الموسيقى، المزج..إلخ.

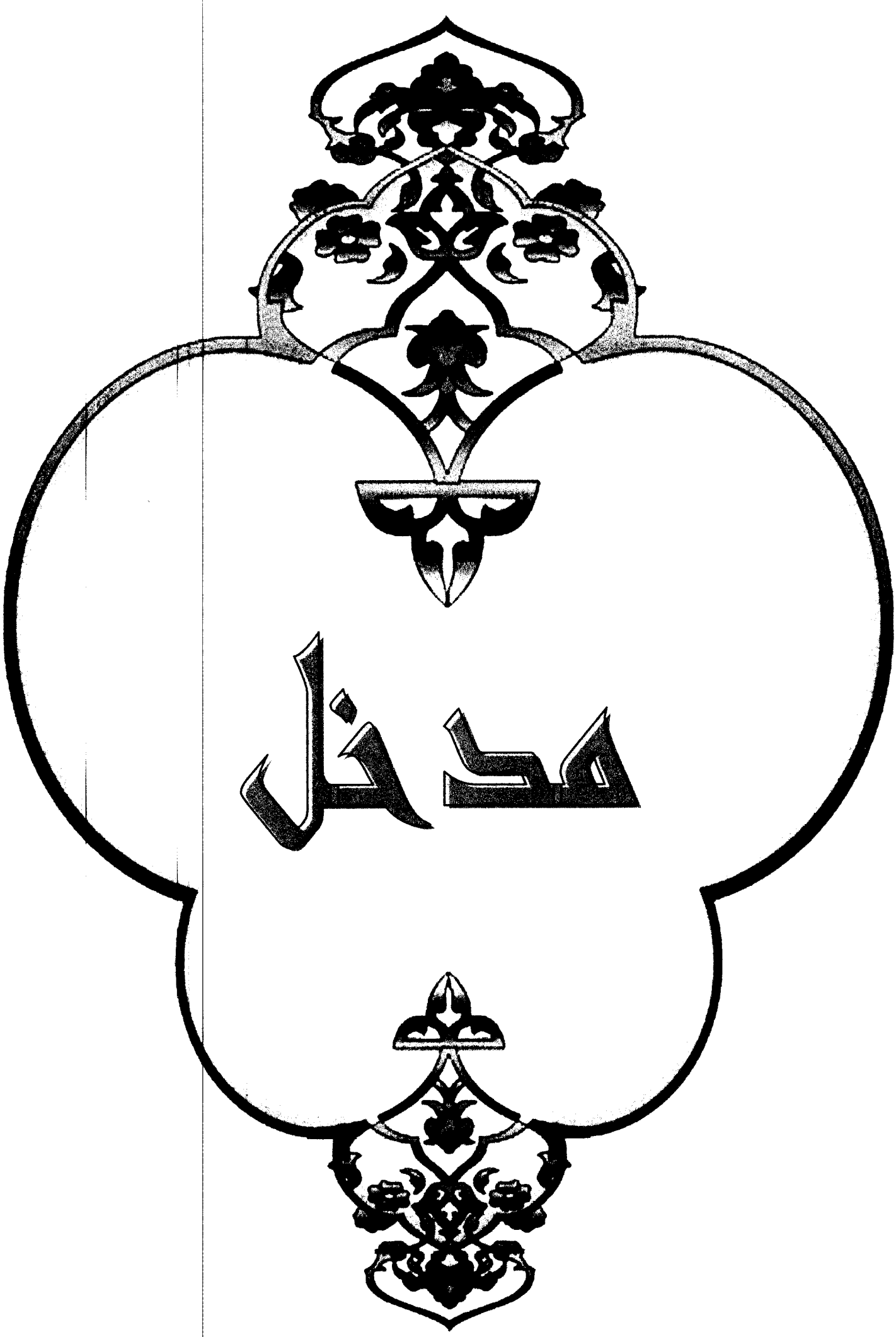
مدخل

مدخل

إن الاهتمام الكبير الذي شغل مالك بن نبي هـــو الإنـــسان في صـــورته الفرديـــة والاجتماعية، وقد انتهى بعد تأمله في التاريخ الإنساني والإســـلامي إلى آراء وأفكـــار في الحضارة وفي التاريخ وفي السلوك الاجتماعي.

لقد درس مفهوم الحضارة من نواحي ثلاث:

1)ـــ من حيث تركيبها: أي من حيث العناصر الأساسية التي تتكون منها الحضارة "نظرة تكوينية" أو نشوئية.

2)ـــ من حيث وظيفتها أي باعتبارها وظيفة الحضارة في المجتمع "نظرة وظيفية" [1]

3)ـــ من الناحية التاريخية الاجتماعية، أي كيف تنشأ الحضارة وترتقي ثم تنحط أو بمعنى آخر كيف تتطور الحضارة.

وله تفسير خاص تتعلق بالحركة التاريخية، فهو يرى أن التاريخ نشاط مستمر مسجل على صفحة الزمن يتأثير من عالم الأشخاص، يسميها مالك بن نبي بـــشبكة العلاقـــات الاجتماعية وصورة النشاط المشترك في التاريخ تكون تابعة بعالم الأفكار فالسلوك يتبـــع

---

[1]) آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنو لـــد تـــوينبي، المؤســـسة الوطنيـــة للكتـــاب، د ط، دت ص111.

الأفكار وينفذ ذلك عن طريق عالم الأشياء [1] وقبل الشروع في عرض هذه الأفكار يلجأ مالك بن نبي إلى تحديد بعض المصطلحات لكي ينشئ إطار نظريا لموضوعه.

1)المجتمع الطبيعي والمجتمع التاريخي:

1) المجتمع الطبيعي:

أو المجتمع البدائي، وهو الذي لم يعدل بطريقة محسة، المعالم التي تحدد شخصيته منذ كان "وهذا النوع" يحقق نموذج المجتمع الساكن ذي المعالم الثابتة كالمجتمعات الموجودة في مستعمرة النمل والنحل [2]

2) المجتمع التاريخي:

وهو الذي ولد في ظروف أولية معنية ولكنه عدل من بعد صفاته الجذرية إبتداء من هذه الحالة الأولية طبقا لقانون تطوره، وهو النوع الذي يحقق النموذج المتحـــرك أعـــني المجتمع الذي يخضع لقانون التغيير الذي يعدل معالمه من جذورها [3] ومع ذلك فهذا النوع كما يرى مالك بن نبي ليس وحيد الصورة فهو يتنوع من حيث طريقة نشأته ومن حيث شكل بنائه ومهما تكن طريقة البناء فإن ظهور مجتمع تاريخي ليس حدثا عرضيا بل هـــو

---

[1]) المرجع السابق ص111.

[2]- مالك بن نبي ،ميلاد المجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين ط1 القاهرة 1959 ط2 دار الفكر بيـــروت 1970 ص.5- 6.

[3]- مرجع نفسه ص5-6

نتيجة عملية تغيير مطردة ، هذه العملية تتم طبقا لتخطيط نظري عام يشتمل بالـــضرورة على الجوانب الآتية [1]

أولا: المصدر التاريخي لعملية التغيير المطردة.

ثانيا: المواد التي تمر بتأثير هذا التغير من حالتها قبل الاجتماعية بحيـــث يمكـــن أن تحوزها اليد المغيرة إلى حالتها الاجتماعية الجديدة.

ثالثا: القواعد العامة أو القوانين التي تتحكم في هذا التغيير فمن الزاوية الأولى نجد أن النموذج التاريخي من المجتمعات يتعرض أيضا للتنوع الناشئ عن الظروف التاريخي الـــذي يتيح له ميلاده وهنالك من هذه الزاوية نوعان من المجتمع.

1)-المجتمع التاريخي الذي يولد فيكون ميلاده اجابة عن اعتبار مفـــروض تفرضـــه الظروف الطبيعية الخاصة بالوسط الذي يولد فيه، سواء تعرض هذا الوسط لتنوع مفاجئ أم أن العناصر المكونة له قد واجهت فجأة ظروف وسط طبيعي جديد، وهذا هو النموذج الجغرافي.

[1]- آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارلوند تونسي ص111.

2) المجتمع التاريخي الذي يرى النور تلبية لنداء فكرة: وهذا هو النموذج الفكـــري (الإيديولوجي) [1]

2)النوع والمجتمع:

إن مصطلح "مجتمع" في معناه اللغوي يعني تجمـــع أفـــراد ذوي عـــادات متحـــدة، ويعيشون في ظل قوانين واحدة ولهم فيما بينهم مصالح مشتركة [2] ويرى مالك بن نبي أن هذا التعريف عبارة عن تحديد خارجي وصفي، لا يعطي ادني تفسير "للوظيفة" التاريخيـــة التي تناط بتجمع من هذا القبيل كما أنه لا يفسر تنظيمه الداخلي الذي قد يكون كفئـــا لأداء مثل هذه الوظيفة لذا يضيف مالك بن نبي في تحديد نطاق الموضوع تحديد "المجتمع" في نطاق الزمن، فتجمعات الأفراد الذين لا يعدل الزمن من علاقاتهم الداخلية ولا بتـــتغير أشكال نشاطهم خلال المدة من التجمعات الخاصة التي نقصدها بمصطلح "المجتمع"[3]

وأيا ما كان الأمر فإن (المجتمع) هو الجماعة الإنسانية التي تتطور ابتداء من النقطـــة يمكن أن نطلق عليها مصطلح (ميلاد)... ولكن حيث نتحدث عن (الميلاد) معـــين فـــإن

---

[1]- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع ترجمة عبد الصبور شاهين ط1 دار الفروبة القاهرة 1962، ص18.

[2]- نفسه ص24.

[3]- نفسه ص15-29.

نعرفه ضمن (كحدث) يسجل ظهور شكل من أشكال الحياة المشتركة، كما يسجل نقطة انطلاق كحركة التغيير التي تتعرض لها الحياة" [1]

فالمجتمع إذن ليس مجرد مجموعة من الأفراد، بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يقوم طبقا لنظام معين، وهذا النظام في خطوطه العريضة يقوم على عناصر ثلاثة:

1)- حركة يتسم بها المجموع الإنساني.

2)- وإنتاج أسباب لهذه الحركة.

3)- وتحديد لاتجاهاتها. [2]

والحركة في علم الاجتماع تتبع فكرة ذات قيمتين، فإن تطور الجماعة يؤدي بها إما إلى شكل راق من أشكال الحياة الاجتماعية (حضارة) وإما أن يسوقها على عكس ذلك إلى وضع متخلف. [3]

وخلاصة القول "إن الطبيعة توجد النوع، ولكن التاريخ يصنع المجتمع وهذه الطبيعة هي مجرد المحافظة على البقاء، بينما غاية التاريخ أن يسيير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية وهو ما يطلق عليه اسم حضارة"[4]

---

[1]- أمنة تشيكو، مفهوم الحضارة الحضارة عند مالك بن نبي وآرلوند توينبي ص113.

[2]- مرجع نفسه ص113.

[3]- ارلوند توينبي، مختصر دراسة للتاريخ د ط، د ت ج1، ص349.

[4]- نفسه ص349-353.

ومن هنا نستطيع أن نلاحظ أن مالك بن نبي يرسم الخطوط الأولى التي يمكن من خلالها المجتمع ما أن ينهض فهو بقدر ما يهتم بتعريف وتحليل المجتمع يهتم أكثر بالمستقبل فيبين المنهج الذي ينبغي أن يتبع في الحياة حتى تكون الأعمال مكللة بالتوفيق في نهاية المطاف ونفهم من ذلك بما أن مالك بن نبي يوجه كلامه إلى الشعوب التي خرجت حديثا من الاستعمار الذي خلف وراءه الجهل والتخلف والفقر وهذه الشعوب وهي تحاول الخروج من تخلفها قد تقع في أخطاء ونتيجة أعمالها غير المخططة وغير المواجهة لذلك ينبغي قبل مفهوم المجتمع القيام بحركة ما أن تحدد أهدافها وإلى ماذا تريد الوصول".

الفصل الأول

الحضارة و البعث الحضاري

أ/- تعريف الحضارة لغويا:

الحضارة تعني في الأصل اللغة الإقامة في الخضر والحضارة ضد البادية يقال فلان من أهل الحضارة وفلان من أهل البادية وفي "تاج العروس": الحضارة والحضرة في المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار، ومساكن الديار، والتي يكون لهم بها قرار [1] .

لقد تعددت تعريفات الحضارة وتنوعت تبعا لذلك دلالات الحضارة بتنوع تعريفاتها فقد رأى بعض الباحثين أن الحضارة هي مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي ونشاطها الفكري والعقلي من عمران وعلوم وفنون وما إلى ذلك والترقي بها في مدارج الحياة ومسالكها حتى تصل إلى الغاية [2] وهذا يعني أن الحضارة حسب هذا التعريف تختص بالجانب المادي فقط.

وقد عرفها مجموعة من الألمان هم (راتناو – توما سمان – كبير لنج بأنها المظاهر الفكرية التي تسود أي مجتمع [3] وهذا يعني أن الحضارة مرادفة للثقافة ومتنصرة على الجانب الفكري أو المعنوي فقط.

---

[1]- الفيروزبادي ن القاموس المحيط، المطبعة الخيرة ط1ن 1302هـ ص142.

[2]- شلبي أبو زيد، تاج الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي القاهرة مكتبة وهبة ط7 1412هـ، 1996م ص7.

[3]- النجار، مصلح بن عبد الحي، الوافي في الثقافة الإسلامية الرياض، مكتبة الرشد 1427هـ -2006م ص151.

وفي كلا الحالتين نلاحظ ان الحضارة قد قصرت على جانب واحد فقط، فلم يتم الإحاطة بكلا الجانبين المعنوي والمادي، وهذا يدعونا إلى اختيار تعريف آخر للحضارة يشمل كلا هذين الجانبين، وعليه تكون هذه الحضارة هي الجهد الذي يقدمه مجتمع من المجتمعات لخدمة المجتمع البشري في جميع نواحي حياته المعنوية والمادية.

بناءا على ما سبق نستطيع القول أن الحضارة تتضمن جانبا معنويا يتمثل في الثقافة التي تعني بالقيم الثابتة والمبادئ الراسخة التي تقوم عليها الحضارة وجانبا مادي يتمثل في المدينة التي تعني بالجانب المادي البحث للحضارة وهي على نوعان مدينة خاصة تتميز بالطابع ثقافي خاص، مثل لباس المرأة، ومدينة عامة لا تتميز بطابع ثقافي خاص، مثل الدلات.

ب/- الحضارة في الاصطلاح الغربي:

مفهوم الحضارة عند أرلنولد توينبي :

لقد قال "توينبي" كلمته في التاريخ في الإنسان والإنسانية ومضى فكان مفكرا لفكره خصائصه، ومؤرخا له طريقته.

" يقول:(الدكتور جواد علي) أن توينبي متأثرا بفكرة ظهرت بين المؤرخين، في النصف الأول من القرن العشرين تدور حول البحث في التاريخ الحضاري، وتعود

إلى (هيردر) [1] ومن الذين بحثوا في هذا الموضوع مؤرخ ألماني اسمه (فربونيس) [2] ولقد أسس معهدا في فرانكفورت بألمانيا لدراسة الحضارة وتشريحها ثم جاء "شلنغر" الذي أثرت عليه الحرب العالمية الأولى، فجعلته ينظر إلى الحضارة الغربية على أنها في أقوال، ليكتب رأيه هذا في كتابه: "أفول الغرب" وقد تصور مثله مثل فروبنيوس، أن الحضارات كائنات حية، تولد وتنموا وتموت، وأن الحضارة الغربية على وشك الموت فصارت عند نظرة تشاؤم [3].

ولقد أثار كتاب المفكر الألماني " أزوا لد شلنغر" "أفول الغرب" في نفس توينبي كثير من القلق على مصير الحضارة الغربية فعكف على دراسة الحضارات السابقة في محاولة لمعرفة عوامل تدهور سقوطها ومن خلال نقد توينبي لنظرية "شلنغر" تبلورت أفكار توينبي ([4]) وتونبي ليس فيلسوفا بل مؤرخا قوم الحضارات السابقة على الحضارة الأوربية تقويما علميا موضوعيا. [5]

أولا:مجال الدراسة:

يبدوا أن توينبي حاول مبدئيا أن يدرس تاريخ البشرية بصورة تجربة ليتوصل إلى مبادئ وقوانين تصدق على التاريخ ككل وانه يريد أن يجرب تناول الشؤون

---

[1]- آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارلتولد توينبي المؤسسة الوطنية للكتاب د ط د ت ص69.

[2]- فروبينيوس ليو عالم ألماني بالآثار والأنتربولوجيا بغير حجة في نفس الثقافة ما قبل التاريخ.

[3]- جريدة الجمهورية عدد خاص مصر ص7.

[4]- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ ص258.

[5]- نفس المرجع ص259.

الاجتماعية البشرية بالأسلوب العلمي [1] ولذا بدأ بالبحث عن وحدة تكون حقلا مفهوما للدراسة، فوجدها في "الحضارة" التي تنتظم عدة أمم وانطلق توينبي من مبدأ رئيسي هو أن مادة التاريخ هي حياة أقسام موحدة من البشرية سماها "المجتمعات" وذكر منها " الحضارة المسيحية الغربية" و "الحضارة المسيحية الشرقية" و "الحضارة الإسلامية" و "الحضارة الهندية" و "حضارة الشرق الأقصى" هذه هي الحضارات الخمسة المتبقية من إحدى وعشرين حضارة واندثرت باقيها [2] وبذلك يخالف توينبي نهج المؤرخين الذين يعتبرون الأمم المستقلة أو الدول القومية أو دول المدن المستقلة.

ثانيا: الدراسة المقارنة للحضارات والغرض منها عند تونبي:

اعتمدت توينبي نهج الدراسة الحضارية المقارنة التي سلك فيها أسلوبا إحصائيا تمكن فيه من إحصاء ما لا يقل عنها ست وعشرين حضارة أو ست وعشرين مجتمعا منذ ظهور أقدم الحضارات في مصر ووادي الرافدين، بالإضافة إلى مجتمعات أخرى بدائية عدد منها ما لايقل عن ستمائة وخمسين مجتمعا صنفين رئيسيين هما ما اصطلح على تسميتها.

---

[1]- آمنة تشيكو: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وتوينبي ص71.

[2]- منع خوري: التاريخ الحضاري عند توينبي ص11-12.

1- **الحضارة الأصلية**: أو الأصلية، وعرفها بأنها الحضارات التي لم تنشق من حضارة سابقة وعدد لها ستة أمثلة، في مقدمتها حضارة وادي الرافدين وحضارة واد النيل.

2- **أما الحضارات البشرية الأخرى**: فقد أدرجها ضمن الصنف الثاني وأطلق عليها مصطلح "الحضارات المشتقة" أو كما عبر عن ذلك، الحضارة والتي تنتمي بصلة "النبوة" غلى تلك الحضارات الأصلية.

استعمل توينبي هذه الحضارات البشرية المختلفة وبعبارة أخرى التاريخ البشري منذ أقدم أطواره لاسترجاع قواعد ونواميس لتفسير ظهور الحضارات والمجتمعات والعوامل الميسرة لها في ازدهارها ونموها وعوامل انحلالها وسقوطها [1].

نخلص مما تقدم توينبي قد درس الحضارات وخرج منها بموسوعة كبيرة هي: "دراسة التاريخ" وكانت دراسته عبارة عن تفسير الأحوال الحضارات من نشوء وتطور وانحطاط، وقد كان هدفه من هذه الدراسة هو العثور على القوانين يفسر بها سير الحضارات فخرج منها بمجموعة من المفاهيم سماها مبادئ الحضارات افترض توينبي خلال البحث عن العامل الإيجابي في نشؤ الحضارات فكرة التحدي واستجابة، فرأى أن الدافع الحيوي في عمليات النشء الحضاري هو الاستجابة المظفرة لتحدي البيئة المناسبة (الوسيط الذهبي) وأن الظروف الصعبة لا السهلة هي التي تستحث

[1]- آمنة تشكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وتوينبي ص74.

الإنسان على التحضير بل أن رقة العيش حائل دون قيام الحضارة غذ الشدائد هي وحدها التي تستشير الهمم وتتمثل الظروف الصعبة إما في بيئة طبيعية، أو ظروف بشرية، تستحث الضيعة القاسية الإنسان على تغيير موطنه أو تعديل بيئته.

وعلاقته الاستجابة بالتحدي تتخذ إحدى صور ثلاثة:

-إن قصور التحدي بجعل الطرف الآخر عاجزا تماما من استجابة ناجحة يحطم التحدي البالغ الشدة روح الطرف الآخر.

-يصل التحدي إلى درجة [1]معقولة تشير الطاقات المبدعة وهذه هي وحدها الاستجابة الناجحة.

ويرى توينبي أن جميع أسباب الارتقاء تنبعث عن أفراد مبدعين أو ألفيات صغيرة من الأفراد يتكون عملهم من جزأين:

الأول: تحقيق إلهامهم أو كشفهم مهما يكن من أمر.

الثاني: هداية المجتمع الذي ينتمون إليه غلى سبيل الحياة الجديدة .

ويتصف فعل الفرد المبدع بأنه حركة مزدوجة قوامها الانسحاب والعودة .

-الانسحاب (الاعتزال) بغية الاستنارة.

-والعودة، رجاء إنارة رفقائه.

---

[1]- نفسه .

تتجلى هذه الظاهرة في حياة عدد من الأنبياء والرسل وهداة الأمم ولكن إذا كان التاريخ البشرية سلسلة من البن واليانج أو التحدي والاستجابة فما الذي يفسر انهيار الحضارات؟

إن العامل الرئيسي في انهيار الحضارة في نظرة توينبي هو فقدان القلية الحاكمة للطاقة المبدعة فيها وبالتالي نجد المجتمع في حالة الانهيار يتشكل على النحو الآتي:

1) أقلية مسيطرة فقدت قدرتها على الإبداع وأصبحت تحكم بالفقر.

2) بروليتاريا داخلية ذليلة ولكنها عنيدة تتحين الفرصة للثورة.

بروليتاريا خارجية انشقت على المجتمع وتقاوم الاندماج فيه وتتحين الفرصة للغزو.

مفهوم الحضارة عند شنغلر:

يصف الكثير من الباحثين فلسفة "شنغلر" بأنها فلسفة تشاؤمية،و يرتد هدا التشاؤم إلى انهيار طبقة النبلاء على يد الطبقة المعاملة،كما يرتد هدا التشاؤم إلى هيمنة التيار المادي،و سيادته في المجتمعات الأوروبية،حيث انهارت تقاليد و أعراف النبالة،هده العوامل كلها قد دفعت به للهجوم و الثورة على المادية البورجوازية و الاشتراكية،و محاربة العقل، و النفور منه،[1]فاحترق العقل الغربي كما تصوره و قدسه معاصروه،إذ كان يرى أن هذا العقل نفسه هو الذي يقود حضارة الغرب إلى

[1]- نفسه .

الدمار[1] يعد شنغلر من أنصار نظرية الدورة الحضارية ،والحضارة عنده انبعاث روحي لجماعة من الناس يربطهم مفهوم متقارب للوجود فينعكس دلك على ألوان نشاطاتهم المختلفة في الفن و الدين و الفلسفة و السياسة و الحرب و الاقتصاد و بالتالي فكل جماعة اجتماعية تتميز عن جماعة أخرى و بعبارة أخرى،فالحضارة في شعب من الشعوب **هم الـزخم** الروحي،لا البعد الداخلي و التيار الدافع للحركة و التقدم و التجديد و التوسع أنها الروح العامة الحية التي تحرك الشعب و تدفعه في جميع اتجاهاته الفكرية و الفنية و العسكرية و العلمية أما المدنية فهي مجموعة الأشياء المبتكرة كالمؤسسات و القوانين و التقنيات و الأشكال الجامدة والمتحركة التي خلقتها الحضارة[(2)] .

و يتصور اهلا يمكن أن تكون هناك حضارتان متماثلتان كل التماثل،أي أن كل حضارة تمثل كيان مستقل عن كيان حضارة أخرى،و لكل حضارة شخصياتها المتميزة ونظرتها الخاصة للحياة، فقد تستعمل الحضارات نفس الكلمات وقد يكون لها نفس المفاهيم والنظم ولكن معاني هذه كلها تختلف من حضارة إلى أخرى. ويذهب إلى القول بأن الزخبة هي التي تصنع التاريخ، فالزخم الحضاري هو الزخم المنطلق من

[1] المرجع السابق، ص305.

[2]- المرجع السابق، ص305.

الرجال العظام الذين يحركون الشعوب بقوة في اتجاهات دينية وسياسية وعسكرية وما يلحق التاريخ من تقدم وتجديد يعود بالدرجة الأولى للصفوة من الناس.

قام شنلغر بانتقاء سبعا من الحضارات قصد دراستها ومقارنتها وتتمثل هذه الحضارات السبع في الحضارة المصرية القسمة، والحضارة البابلية، والحضارية الببانية، والحضارة العربية، والحضارة الغربية، والحضارة الهندية، والحضارة الصينية والحضارة المكسيكية، وحدد فصولا أربعة لكل حضارة من هذه الحضارات، وتتمثل هذه الفصول في :

فصل الربيع: يتمثل في حقبة البطولة، حقيقة الأساطير وشعر الملاحم حيث يتعنى الناس بالشجاعة والبطولة كحقيقة هوميروس في تاريخ حضارة اليونان، وحقبة القرون الوسطى من تاريخ الحضارة الغربية.

فصل الصيف: ويتمثل في حقبة التيارة المثبوتة الطموح، إنها حقبة ظهور وازدهار الدولة المدينة في الحضارة البولونية الإغريقية.

فصل الخريف: في هذا الفصل تبدأ الحضارة في فقدان منابعها الروحية حيث تظهر البوادر الأولى للشيخوخة وتبدوا الحضارة منهكة ومرهقة.

فصل الشتاء: تفقد الحضارة روحها المبدعة وتصبح مدنية ويكون أفضل ما تقدمه في هه الحقبة تطبيق العلوم على الصناعة وإنشاء المعاهد التقنية. [1]

نلخص من خلال عرضه نظرية "شنلغر" للحضارة أن تخضع لمبدأ الحتمية أو المصير التاريخين وأن المدنية هي أعلى مراتب الحضارة لمبدأ الحتمية أو المصير التاريخي، وأن المدينة هي أعلى مراتب الحضارة وعلامة من علامات سقوط الحضارات وأن كل حضارة تتجه عبر مراحل تطورها إلى مصيرها المحتوم وهو الفناء.

جـــ/ مفهوم الحضارة عند بن خلدون:

عاش ابن خلدون فترة تاريخية عصبة ارتبطت بقوة انحطاط العالم الإسلامي فلم يكن متشائما من هذه الحالة التي كان يعاني منها العالم الذي ينتمي إليه بل كان فيلسوفا ومؤرخا وعالم اجتماع يتأمل ظاهرة الإنحطاط ويحاول تفسير إشكالية هيمنة على تفكيره هذه الإشكالية هيمنة على كل تفكير هذه الإشكالية تتمثل في لماذا انهارت الحضارة العربية الإسلامية بعد أن بلغت مداها في العظمة والمجد؟

نظر ابن خلدون إلى المجمع الإسلامي نظرة تحليلة، واهتم أساسا بظاهرة الدولة يبحث أسباب انهيارها بعد ازدهارها وقد خصص ما يقارب من ثلث المقدمة للبحث

---

[1]- اوسوالد شبنلغر، تدهور الحضارة الغربية ، ج1 ترجمة أحمد لشيباني دار مكتبة الحياة، بيروت، ص766 767.

في الموضوع الدولة من جميع جوانبه [1] فتصور أن الدولة ظاهرة تاريخية واجتماعية وذهب إلى القول بأن كل عمران وكل دولة أو مجتمع مدني يتطور من مرحلة إلى مرحلة أخرى إلى أن يصل إلى غايته وهو عمره أو أجله الطبيعي واكتشف أن العصبية هي محرك التاريخ والعامل الذي يسهم في عملية التحول الاجتماعي والانتقال بالدولة من مرحلة تاريخية اجتماعية إلى مرحلة أخرى"

أي الانتقال من مرحلة البداوة إلى مرحلة الحضارة ويقصد ابن خلدون بالعصبية رابطة إجتماعية ونفسية تربط أفراد جماعة ما وتقوم هذه الرابطة على النسق القرابي وخاصة رابطة الدم والنسب حيث تقوى وستشهد هذه الرابطة عندما يهدد هذه الجماعة خطر خارجي يقول ابن خلدون : " وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل ومن صلتها النعرة على ذوي القربة وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكت فأن القريب يجد في نفسه عضاضة من ظلم قريبة أو العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبعيه في البشر مذ كانوا فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستعدت ذلك بمجردها ووضوحها". [2]

---

[1]- إبراهيم ملامح علم إجتماع الإسلامي عند مالك بن نبي رسالة مقدمة لنيل شهادة ماج ستار تلمسان سنة 2000 ص74.

[2]- ابن خلدون، المقدمة دار النشر بيروت ط3 سنة 1967 ص128.

توصل ابن خلدون من خلال دراسته الاجتماعية حول الدولة ومعرفة أسباب ازدهارها وانهيارها إلى صياغة قانون اجتماعي يتمثل في أن الدولة تمر بثلاث مراحل هي :مرحلة الميلاد، ومرحلة النضج، ومرحلة الانهيار، وتأتي هذه المراحل متعاقبة ومتتالية بنفس المراحل التي يمر بها الإنسان من مرحلة الطفولة إلى النضج إلى الشيخوخة والهرم، وتصور أن كل مرحلة من هذه المراحل يعمرها جيل يستغرق أربعين سنة وقد عم الدولة في حركتها الحضارية بمائة وعشرين سنة بقول ابن خلدون "إلا أن الدولة في الغالب لا تعدو اعمارا ثلاثة أجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشؤ [1]

ولكل جيل من هذه الأجيال صفاته ومميزاته الخلقية وأنماطه السلوكية وتتمثل هذه الأجيال في ما يلي:

الجيل الأول: ويمثله جيل البداوة ويتميز بصفات منها: الخشونة والبسالة والإفتراس، والتوحش والحشمة... تجمعهم رابطة العصبية، فهم أشد استمساكا بها، هذا الجيل يعود إليه الفضل في تأسيس الدولة "الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد فلا

[1]- المرجع السابق، ص170.

تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم موهوب والناس لهم مغلوبون" [1]

الجيل الثاني: هو جيل ينتقل من مرحلة البداوة إلى مرحلة الحضارة حيث تشكل الدولة ويتحقق الملك، فيتنقل المجتمع من الحياة البدوية الخشنة أو من العمران البدوي إلى الحياة المتمدنة أو العمران الحضري، وفي هذا الطور يزول جانب من قوة الجيل الأول ويفقد أهل الدولة الكثير من صفاته "...والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والسرقة من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف غلى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد إلى الإنفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا اعتزازهم وسعيهم إلى المجد ومراميهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وإن ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول. [2]

---

[1]- المرجع نفسه، ص170.

[2]- المرجع نفسه، ص170-171.

الجيل الثالث:

وفي هذا الطور ينسى أهل الدولة عمر البداوة، ويفقدون القوة والحمية وحلاوة العزة والعصبية ويبلغ فيهم الترف غايته ويحتاجون إلى من يدافع عنهم وتتحول المجاد عندهم إلى مظاهر... وهذه السلوكيات والظواهر المرضية التي تصيب هذا الجيل هي الثالث فينسون عهد البدواة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز العصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تبنقوه من النعيم وغدارة العيش فيصيرون عيالا على الدولة..[1]

يعد ابن خلدون إذن، مكتشف لفكرة الدورة الحضارية التي استلهمها منه الكثير من المؤرخين والفلاسفة ونذكر من بينهم "توينبي" وشنلغر" ومالك بن نبي ... ونستشف في مقدمته عدة قضايا ترتبط بمجال علم الاجتماع وعام التاريخ وعلم الساسة... ولكن حتى لا نقع في مظنة المبالغة والتعميم يجب أن نعترف بانه ليس كل ما قاله بن خلدون صوابا والاعتقاد بأنه لم يترك ثغرة واحدة في مقدمته لينهي نظرة تفتقد للروح العلمية لأنه ما من فكر بشري سواء استمد من مصادر دينية او وضعية إلا وهو معرض للخطأ والصواب لأنه الفكر البشري نسبي وهو دائما في تجديد مستمر.

---

[1]- المرجع السابق، ص171.

وعلى هذا الأساس يمكن رصد بعض الثغرات فمقدمته ابن خلدون إذ لا نشاطره الرأي في تصغيره لحجم الحضارة وتصنيف مداها والحكم القاسي على قيمة نتائجها فقد نظر إلى الجانب السلبي من الحضارة حيث بلغ في ف إحاطتها بالترف وبالغ كثيرا في رصد ما ينجم عن هذا الترف من آثار سلبية، فالتفنن في كل أنواع الترف والنعيم لا يؤدي بالضرورة إلى زوال الدولة، ولكن الذي يضعف البشر هو سوء استخدامهم لنعيم الحضارة كالإسراف في الطعام وفي الشراب والإقبال على الخمر وتتلخص هذه الظاهرة فيما يسميه المؤرخون بسيطرة أدوات الحضارة على الإنسان بدلا من سيطرته عليها وتسمى هذه الحقيقة من الحقائق.

الحضارة بالقبض أي القدرة على التحكم في الأشياء والمصطلح في علم الاجتماع Maniabilité ومن دون هذا القبض لا يستطيع الإنسان الإفادة من أي أداة من أدواة الحضارة توضع بين يديه [1]

أما مالك بن نبي فقد استمد فكرة الدورة الحضارية من "بن خلدون" وأنقلها من مجال دراسة الدولة إلى مجال أوسع هو مجال الحضارة يقول مالك بن نبي "إما بن خلدون كان يمكن أن يكون أول من أتيح له أن يصوغ قانون الدورة الحضارية لولا

[1]- حسين مؤنس الحضارة دراسة في الأصول وعوامل قيامها وتطورها ذكر هذا المرجع من قبل.

أن المصطلح عصره قد وقف به عند نتائج معين من منتوجات الحضارة ونعني به الدولة وليس عند الحضارة نفسها [1]

د/-النهضة والبعث الحضاري:

لقد تكلم حول هذا العنصر الكثيرون لكن أبرز من حلله تحليلا أكاديميا د. الشفيع خضر سعيد الذي خرج ببعض الاستنتاجات من وحي ثورات المنطقة «الأخيرة «النهضة والبعث الحضاري النهضة أو البعث الحضاري، من الموضوعات المحورية التي ظل يدور حولها جدل وحوار عميقين بين الجيل الأول من المفكرين، في أفريقيا والعالم العربي، وهم يحاولون الإجابة عن ما أثاروه من سؤال جوهري متعلق ببحث أسباب التخلف في مجتمعاتنا، وكيف نكتسب القدرة والقوة والزاد للسير في طريق التقدم والرقي تحت ضوء منارات الحضارة البشرية. وأعتقد أن فاتحة الإجابة عن هذا السؤال، تفترض الإشارة إلى أن قدرة الشعوب على تحقيق «مفخرة» اقتصادية اجتماعية فكرية تتجلى فيها عظمة تراثها الثقافي والحضاري، تبدو لنا محددة بمدى صدق والتزام وقدرة النظام السياسي الحاكم على التصدي لقضية البعث النهضوي. ورغم ذلك، فإن طبيعة أنظمة الحكم ليست هي العامل الوحيد الحاسم في مسألة

[1]- مالك بن نبي شروط النهضة، ص69.

النهضة والنمو الحضاري، ولكنها تشكل جزءا مهما ضمن مؤثرات كثيرة في حركة الوعي والتاريخ والثقافة لهذا الشعب أو ذاك .

ولقد واجهت أفريقيا التحدي التاريخي المرتبط بإشكالية التخلف والتقدم من خلال عدة محطات، أهمها، في نظري، محطتا الاستتراف والتبعية في ظل الاستعمار الجديد. صحيح أن الاستتراف في القارة بدأ منذ خمسة قرون باستتراف الإنسان، أي تجارة تصدير العبيد إلى الدنيا الجديدة. ثم أعقب ذلك استتراف الثروة، أي سرقة الموارد الطبيعية للقارة الأغنى في العالم،[1] وهو استتراف مستمر حتى اللحظة. ومنذ أكثر من نصف قرن، تتعرض أفريقيا، لشكل جديد من أشكال الاستتراف، وهو استتراف الأدمغة أو العقول، أي تفريغ أفريقيا من أفضل كفاءاتها وأكثرهم تعليما وموهبة، في علوم الطب والالكترونيات والهندسة والفنون والإدارة والبحث، والأدب...الخ، يجذبهم الغرب بتوفير ظروف معيشية واعدة وفرص ذهبية لتطوير الذات، تاركين وراءهم فراغا يصعب تعويضه. وعلى الرغم من بدايات نهوض أفريقيا بعد انتصارات حركة التحرر الوطني في ستينيات القرن الماضي، إلا أنه كان نهوضا مؤقتا، إذ سرعان ما سيطر الاستعمار الجديد على القارة، وتعثر مشروع النهضة في ظل تمكن أنظمة التبعية عبر الاستبداد والطغيان وما أفرزته من صراعات عرقية دموية[2]،

---

[1]- البروفيسور سليم الحسني في جامعة مانشستر.

[2]- دكتور عمر عبد الكافي،ذلك المزارع في هذا الزمان.

وتجاهل لأولويات التنمية، وتفشي الفقر والجوع والمرض والفساد، والتواطؤ مع سارقي ثروات القارة، وتغذية البيئة الطاردة لشباب أفريقيا وأدمغتها .

والشعوب العربية جابهت ذاك التحدي التاريخي في لحظتين حاسمتين: لحظة المواجهة بين التخلف والتقدم إبان الغزو الاستعماري للعالم العربي في القرن التاسع عشر، ولحظة الصدام العنيف مع الغرب بعد قيام دولة إسرائيل. وقد حاول المفكرون العرب، كل بحسب ميوله الإيديولوجية[1] وتصوراته الفكرية وانتماءاته الطبقية والسياسية، الإجابة عن الاسئلة المتولدة من ذلك التحدي التاريخي، والتي أوجزها المفكر المغربي عبد الله العروي في أربع مشكلات رئيسية، هي: مشكلة الأصالة، أي تحديد الهوية أو تعريف الذات .ومشكلة الاستمرار، أي علاقة العرب بماضيهم. ومشكلة المنهج الفكري العام، أي الوسائل التي سيتبعها العرب لكي يكتسبوا المعرفة، ويمارسوا الفعل. ومشكلة أدوات التعبير، أي ما هي أنسب أدوات التعبير التي تتيح للعرب أن يعبروا بواسطتها عن مرحلة تطورهم الراهنة. وأعتقد أن الفكر العربي طرح أيضا ثلاث قضايا أساسية خاصة بتطوير المجتمع العربي ذاته، تمثلت في السعي إلى الأصالة من خلال الحديث عن الإسلام وقدرته على التجدد لكي يتلاءم مع الفكر الحديث، والسعي إلى الحرية من خلال الحديث عن أهمية تطبيق النظام الديمقراطي

[1]- نفسه .

الذي يكفل المساواة بين المواطنين في ظل سيادة القانون، والسعي إلى التحديث من خلال تأكيد الدور الحاسم لاقتباس التكنولوجيا الغربية وإقامة حركة شاملة للتصنيع .

ويحاول البعض التعليل لفشل النهضة العربية/الأفريقية بأن التراث المعرفي لهذه الشعوب لا يؤهلها لتبني الديمقراطية، ولا يمتلك مفاتيح بوابات التحديث. ولكن هذه النظرة، في تقديري، وقعت في براثن الخطأ، لأنها تنطلق من فرضية وكأن هذه الشعوب قد خرجت لتوها من مرحلة الجمع والالتقاط، وليس لديها ما تتمثله لتربية الأبناء أو لابتداع وسائل للمعيشة اليومية. الروائي السنغالي شيخ حميدو يقول إن الجهل بالثقافة الإفريقية له سببان: الأول تاريخي يرجع إلى مسألة العبودية، والآخر بنيوي يتمثل في كون الثقافة الإفريقية شفهية غير مكتوبة، وهذا لا يعني عدم وجود ثقافة، فالإفريقي يعرف كيف يتعامل مع أهله وأبنائه وله قيمه ومبادئه وموروثه، لكن بما أنها ثقافة وحضارة غير مكتوبة، لا يستطيع[1] الآخر أن يعرفها. كما أن تلك النظرة الاستعلائية تتناسى الأثر الكبير للحضارة العربية في إعادة بعث النهضة الأوروبية من خلال حركة الترجمة والتأليف في علوم الجبر والهندسة والفلك..الخ، كما تتناسى أن الدين الإسلامي نفسه أتى بنقلة حضارية رفعت راية التعايش السلمي بين القبائل تمهيدا لتوحيدها في شعوب وأمم. إن سقوط، أو تعثر مشروع النهضة العربية والافريقية بعد أفول نجم ثورات التحرر الوطني، لم يكن بأي حال نتيجة حتمية للسمات الخاصة

[1]- نفسه .

بالموروث الثقافي، أو المكون البيئي والجغرافي، أو التركيبة الجينية الوراثية لشعوب هذه البلدان، كما يدعي البعض. بل كان بسبب سياسات وبرامج أنظمة الاستبداد والطغيان التي حكمت أفريقيا والعالم العربي بعد انتصارات حركة التحرر الوطني. فسيف أنظمة الاستبداد والطغيان طال صناع النهضة الحقيقيين من مفكرين وعلماء ومثقفين ورجال دين مستنيرين، لتمتلئ مساحاتهم الشاغرة بالتيارات الأصولية الماضوية، وبأنصاف المثقفين الذين سيطروا على وسائل الإعلام وأدوات التوجيه الثقافي والتربوي، ففرضوا نموذجا معرفيا بائسا يقوم على التلقين دونا عن التفكير الناقد، ويتحمس للتجهيل ومعاداة العلم، بدرجة أقرب إلى الملهاة المأساوية. فلنسترجع فقط ما قاله أحد قادة الإنقاذ للعالم البروفيسور فاروق محمد إبراهيم، وهو تحت التعذيب، «نحن نعذبك لأنك تدرس نظرية دارون[1] «أصل الأنواع» لطلاب الجامعة»!! وإذا كان قمع الفكر والبحث العلمي يمثل أحد أوجه سياسات أنظمة الاستبداد، فإن خلق البيئة الطاردة للعقول والأدمغة يمثل الوجه الآخر. ووفقا لمؤسسة بناء القدرات الإفريقية ومنظمة التنمية الاقتصادية لأفريقيا التابعة للأمم المتحدة، تفقد أفريقيا سنويا، منذ عام 1990م، 20000 من خريجي الجامعات. بل إن عدد المهنيين الذين غادروا إلى الولايات المتحدة وحدها يفوق ما تبقى في القارة السمراء برمتها. وأخيراً صدرت دراسة عن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء بالتعاون مع أكاديمية البحث

[1]- نفسه .

العلمي في مصر، كشفت على أن هناك 54000 من العلماء والأكاديميين المصريين يعملون في الخارج، من بينهم 11 ألفا في مجالات عالية التخصص. وهذا يشمل 94 عالما في الهندسة النووية، و 36 في الفيزياء الذرية و 98 في علم الأحياء الدقيقة و 193 في أجهزة الكمبيوتر والإلكترونيات والاتصالات. أما نحن في السودان، فبعد أن أصابتنا تخمة وفرة الخدمات الصحية للجميع، يتحدث المسؤولون بفرح غير مبال عن فتح باب الهجرة للأطباء السودانيين..!! وهكذا يصبح طبيعيا أن ننظر إلى هجرة الأدمغة وسيطرة الدجل والشعوذة والخرافة ومظاهر التخلف الأخرى، كمقاصد أساسية للاستبداد السياسي، كونه يخشى على سطوته من العلماء والمفكرين، ومن الاقتدار المعرفي عموما وفي هذا السياق، نوافق ما ذهب إليه الكاتب والشاعر اللبناني عيسى مخلوف في ندوة الثقافة العربية والتحديات الراهنة في متحف البحرين الوطني، 11 مايو 2003م، "فرض على عالمنا، ذي الفضاء المغلق، ثقافة الخوف والكتمان، حيث يستقر التكفير السياسي منذ خمسين سنة، وينضم إليه راهنا التكفير الديني، مما يحشر الكتاب وأصحاب الفكر في زاوية التبرؤ من الكفر، مع انقطاع متزايد ما بين المثقف والجمهور. فكيف يمكن للمفكرين الذين وضعوا في حالة ارتباك مع الذات، ودفعوا إلى الرقابة على فكرهم، أن يقودوا معركة التصدي والتحدي وبناء المستقبل؟[1]".

---

[1]- نفسه .

إن إعادة بعث النهضة الحضارية في إفريقيا والعالم العربي، يشترط الاستقرار السياسي، لا بحد السيف والقمع، وإنما في ظل نظام حكم يستجيب لتطلعات الشعوب، وقادر على إدارة عجلة التحديث والتطور، دون قطع مع التراث ودون ارتهان له، ويعمل على ترسيخ المؤسسات الديمقراطية الحديثة، في إطار التداول السلمي للسلطة وتسييد مفاهيم المجتمع المدني وتحييد المؤسسة العسكرية. وبالنظر إلى ثورات شعوب المنطقة، يحق لنا أن نستنتج أن حراك التغيير الراهن سيفتح أبواب الولوج لمرحلة تاريخية جديدة تفوق في أهميتها مرحلة عصر النهضة العربية في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ومرحلة بناء الدول الوطنية المستقلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، لأن هذه المرحلة الجديدة يمكن أن تؤسس لإعادة بعث مشروع النهضة، في ظل ظروف جديدة مغايرة كليا تتميز باندفاع رياح التغيير في المنطقة، وانتصاراتها في مصر بالتحديد لكونها مركز ثقل الحراك النهضوي العربي .ولسبب آخر هو أن قوى التغير هذه المرة تحمل وعي عصرها الذي أسقط كلفة التعميمات والإدعاءات الزائفة والأفكار المسبقة، وهي تجيد لغة العصر، منجزات التكنولوجيا، بدرجة تمكنها من تطويعها لصالح قضايا الشعوب، وتتطلع للحياة الجديدة معززة مكرمة في بلدانها. [1] وكل ذلك يدفعها لبناء مشروع نهضوي جديد لا يخضع لأية تابوهات سياسية أو عقدة العصبية القومية، وفي نفس الوقت يستثمر إيجابيات العولمة إلى أقصى حد ممكن .

[1] - نفسه .

فبالنسبة للصراع الفلسطيني الإسرائيلي مثلا، لن تتم مواصلة اجترار انجراح الذات العربية، وبكائيات خيبات النكسة، ولكن ربما يتم التعامل معها باعتبارها قضية سياسية قابلة للحل بغير معيار النصر/ الهزيمة. وفي ما يخص الضغوط الاجنبية والاطماع الخارجية، فستتصدر مصالح الشعوب قائمة الأولويات، لا سيما أن شباب التغيير لا يحمل أية عقدة تجاه «الخواجة». وقطعا هناك نموذج معرفي جديد (paradigm shift)سيفرض نفسه، قائم على الانخراط في سلسلة من الأنشطة العلمية، عبر المؤهلين المتخصصين في مجالات المعرفة المختلفة، لا لصياغة شعارات عامة أو هتافات تحريضية مؤقتة التأثير، وإنما لصياغة برامج علمية المحتوى تعبر عن مفهوم النهضة العربية الحديثة، وفي نفس الوقت تعكس نبض الشارع. برامج تجتهد في قضايا التراث والفكر العربي الإسلامي لمواصلة استنتاجات المفكرين، أمثال الشهيد حسين مروة، حول أصالة العلاقة بين المحتوى التقدمي الديمقراطي لهذا التراث، والمحتوى التقدمي الديمقراطي لحركة التغيير المعاصرة وثقافتنا الحاضرة، دحضا لكل محاولات الافتراء بأن المحتوى المعاصر دخيل ومستورد. وهكذا الحال بالنسبة لمناهج التعليم في المدارس والجامعات والمعاهد، وكذلك قضايا تربية النشء والثقافة ومحاربة التسطيح والاستلاب الثقافي، قضايا الشباب والمرأة....الخ. [1] والإطار العام لكل ذلك هو: البديل المرتبط بمشروع التنمية والانفتاح على آخر منجزات الثورة التكنولوجية والثقافة العالمية،

[1]- نفسه .

وبطرح تصور لتقديم المعرفة بذات الجودة للجميع بدون استثناء، وبدون أعباء مالية على المواطن. وهكذا سيتم إحياء سر البناء المتمثل في تحرير العقل وعدم اعتقاله في سجون التجريم والتحريم، مما يساعد على نمو مجتمع مدني قادر على التصدي لدوره في التوعية والتثقيف ومراكمة جزيئات النهضة الحضارية الجديدة. نسوق كل ذلك دون تهويل أعمى، ودون افتراض أن الانتكاسات قد ولى زمانها!!..

وتمازجت في مفاهيم أولئك العلماء مسائل الفقه والإفتاء مع مسائل الطب والرياضيات والفلك والكيمياء، وصار المهندس يسترجع على فراش الموت أعماله في البناء لعلها تشفع له أمام خالق الكون، ونجح ذلك الجيل في دفع حركة علمية شاملة في الأمة أسست لكل ما هو معاصر من اختراعات العلوم وعجائب التقنية، باعتبار أن هذه المزاوجة بين الإيمان والبحث العلمي هو جوهر الوجود الإنساني الفريد الذي خص الله به آدم من دون غيره من الخلق، حين استخلفه على الأرض وعلمه الأسماء كلها.[1]

فهذا هو أبو ريحان البيروني من أشهر علماء الفلك والرياضيات وهو على فراش الموت يحف حوله ذويه وتلامذته فإذا بزائر من مدينة نائية يود السلام على الشيخ ولما سمع الشيخ اسمه حاول الجلوس في الفراش وقال للزائر يا فلان أنا أبحث عنك لفترة طويلة فأن لديك حل لهذة المسألة . تعجب الزائر وتعجب الحاضرون. الشيخ في آخر رمق من حياته وهو يسأل عن مسألة رياضية بحتة ! فإذا بالشيخ يرد

[1]- نفسه .

على تعجبهم ويقول : ماذا أقول لربي وقد قيض لي فرصة للتعلم و لم آخذها. ومثل البيروني الكثير.[1]

إننا في مؤسسة العلوم والحضارة والتكنولوجيا بانجلترة نشعر بعميق التقدير لهذا النموذج الذي يمثله الدكتور عمر عبدالكافي لفقيه البعث الحضاري، بذات القدر الذي نشعر فيه بعذوبة مواعظه ومحاضراته، التي تبسّط لنا فهمنا للدين بعيدا عن الإصر والأغلال والحرج، وتدفعنا للإقبال على الدنيا بمنهج يقوي إيماننا وتمسكنا بديننا ، لتتحول الحياة إلى روضة غناء، تزينها أشجار من القيم والأخلاق الرشيدة، غرس فسائلها بفكره ورؤاه[2].

[1]- البروفسيور سليم الحسني في جامعة مانشستر.

[2]- دكتور عمر عبد الكافي،ذلك المزارع في هذا الزمان.

هـ/-البعث الحضاري في التجديد والإحياء:

لقد انتبه "مالك بن نبي" إلى المشكلات التي يعاني منها الإنسان في عصره ولاحظ أن المشكلة الكبرى في حياة الإنسان هي مشكلة حضارية، فدعا إلى البحث في الحضارة لمعرفة شروط قيامها وعوامل انهيارها وقام بهذه المهمة الشاقة فانكب على دراسة التاريخ الإنساني بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص، كما درس واقع الشعوب والأمم المعاصرة المتحضرة والمتخلفة مركزا على واقع الشعوب العربية والإسلامية ومسلط الضوء على واقع الجزائر وتاريخها بشكل خاص وقد ساعده في ذلك إسلامه وإيمانه بقضيته ورسالته وتكوينه العلمي، فكان يحلل الواقع والأحداث الماضية والحضارة ويستخلص النتائج كما كان يضع الفرضيات ثم يستدل عليها بشواهدها التاريخية والواقعية وتحليلها بأسلوب علمي فيه الدقة والضبط والإحكام والموضوعية والصرامة العلمية والمنطقية [1].

إن العمل الذي قام به "مالك بن نبي" في حقل البحث تميز بطابعه العلمي من جهة وبطابع الفلسفي من جهة أخرى فهو استطاع أن يضع نظرية في الحضارة ويقدم **التجديد الحضاري في:** إستراتيجية لم يعرفها أحد قبله إن نظريته في الحضارة إنها تمثل إبداعا فكريا وفلسفيا وعلميا لا نظرية له عصرنا بما تميزت به هذه النظرية من دقة في

---

[1]- بلال الجراح، إحياء بين durant (حضارتها) ومالك بن نبي، www.wik pédia.org.i

طرح المشكلات وحصرها وعمق في تحليل والموضوعية في التصورات والتفسيرات والتنوع في المناهج والأساليب فجاءت نظريته فلسفية وعلمية وأخذت من الفلسفة القدرة على المشكلة والتحكم في التصورات والمفاهيم والقدرة على الاستشهاد وتبرير النتائج وأخذت من العلم الدقة في الطرح والموضوعية في التحليل وانتهاج مختلف مناهج البحث العلمي وتميزت بحوثه بالتزامه فلم يكن يطلب سوى الحقيقة في ذاتها تعريف "**مالك بن نبي**" على حركة الإصلاح والتجديد في عصره وانتقدها وبين مالها وما عليها و لم يكن من ذوي التطرف في فكرة في تعامله مع مختلف التيارات الفكرية في العالم الإسلامي فكان همه الوحيد هو الوصول إلى الحقيقة في حل مشكلة الحضارة استطاع أن يضع نظرية هي بمثابة إستراتيجية شاملة أسباب قيام الحضارة وشروط البناء الحضاري كما يبين عوامل رده النهضة وأسباب التخلف ولانحطاط. إستراتيجية التجديد الحضاري عند فيلسوف الحضارة "**مالك بن نبي**" تحددها جملة من المفاهيم تتمثل معجمية فلسفة الحضارة عنده وكان قد اطلع على فلسفة التاريخ في الفكر الخلدوني كما اطلع على فلسفة الحضارة والتاريخ في الفكر الحديث وعند أقطابها أمثال "**توينبي**" "**وسنجر**" وغيرهم واستطاع بذلك أن يلم بجوانب النقص وجوانب القوة في فلسفات هؤلاء وفي اتجاهاتهم [1].

[1]- الموقع السابق

تعرف "مالك بن نبي" على حركة الإصلاح والتجديد في عصره وانتقدها وبين ما لها وعليها، و لم يكن من أصحاب التطرف في ذكره وفي تعامله مع مختلف التيارات الفكرية في العالم الإسلامي، فكان همه الوحيد هو الوصول إلى الحقيقة في حل مشكلة الحضارة استطاع أن يضع نظرية هي بمثابة إستراتيجية شاملة تحدد أسباب قيام الحضارة وشروط البناء الحضاري كما تبين عوامل ردة النهضة وأسباب التخلف والانحطاط[1].

يختلف فلاسفة الحضارة عن :مالك بن نبي" في تفسيرهم للتاريخ في المنطلق والمنهج والمسار والمصب حيث تعلق المنطلق بالذاتي والموضوعي معا وتعلق المسار والمنهج بالروحي الديني والمادي الحسي معا وتمثل المآل فيما هو دنيوي وآخرون معا هذا التصور غاب لدى كل من تفلسفت وحول الحضارة قديما أو حديثا إن التجديد الحضاري ليس مرتبطا بأرض أو جنس ما أو لغة ما بل هو ظاهرة إنسانية تقوم حيث يعش الإنسان وإذا غابت موانعها وتوفرت لوازمها وشروطها، هذه الظاهرة تتكون عندما يشرع الإنسان في تغيير ما بداخل نفسه ليغير ما في خارجها بعد الاجتماعية، وبعد ذلك وهي تقوم أساس على التغيير والتصورات وفهوم الإنسان ونظراته إلى ذاته وإلى محيطه كما يتصور المعنى من وجوده والرسالة الملقاة على عاتقه وفي هذا الإطار يتصور المبادئ التي يتقيد بها والغايات التي يصبوا إليها والوسائل و السبل التي تمكنه من

---

[1]-نفسه

ذلك في كل نشاط يقوم به هذا التغيير يكون أولا في المجال الفردي ثم يشق طريقه نحو مجال الاجتماعي.

ارتبط **التجديد الحضاري** بعامي التغيير يؤكده القرآن الكريم في الآية الكريمة "**إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**"[1] وهو مبدأ ينسجم مع السنن الكونية إذ لا يمكن لمجتمع أن يتغير نحو الاستواء ... فضل ما لم يتغير أفراده ولا يتغير أفراده ما لم يبدأ هذا التغيير في نفس كل فرد الذي هو الجزء من المجتمع، والمجتمع ليس هو مجرد حاصل جمع أفراد بل هو نظام وشبكة من العلاقات لا حصر لها ولا عد تمثل شبكة العلاقات الاجتماعية التي تنتج في نسق اجتماعي قوانينه متماسكة في وحدة موضوعية لا تقبل التفكك والانقسام وتفككها يعني تفكك شبكة العلاقات الاجتماعية وبالتالي تفكك المجتمع [1].

إن عنصر التغيير الذي يحدث في نفس الفرد يتحول إلى المجتمع يدل على العلاقات العضوية بين الفرد والمجتمع حتى أن بعض العلماء أرجحوا كل ما هو فردي إلى المجتمع واعتبروا الفرد مرآة عاكسة لكل ما هو اجتماعي انتبه " **مالك بن نبي**" لهذه المسألة واعتبروا الفرد عنصرا أساسيا وفعلا في المجتمع ، والمجتمع يؤثر تأثيرا كبيرا في أفراده في حالة نمائه وازدهاره وفي حالة فساده وانحطاطه، فالفرد "يضع ضريبة عن اندماجه الاجتماعي إلى الطبعة وغلى المجتمع وكلما كان المجتمع مختلا في نموه ارتفعت

[1]- نفسه .

الضريبة [1] فالتغير الذي يمثل جوهر التجدد الحضاري هو الذي يضمن التوازن بين الجنب الروحي والجانب المادي في الفرد كما يضمن التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع ضمن إطار تحدد فيه حاجيات الفرد ومطالب المجتمع بعيدا عن الانخراط الأحادي في تلبية الحاجيات الفردية والاجتماعية.

للحضارة عمر وعمرها ثلاثة أطوار : الطور الروح وطور الأوج أو العقل وطور الغريزة أو الأخول تلك هي مراحل الدورة الحضارية في التاريخ والمجتمع الذي يعرف الحضارة يعيش ثلاث مراحل هو الآخر، **مرحلة ما قبل الحضارة ومرحلة الحضارة ومرحلة ما بعد الحضارة**، هذا التصور نجده عند "ابن خلدون" لكنه يخصص الدولة لا الحضارة مما جعل "**مالك بن نبي**" يعتبر المصطلح ضيق في نظرية "ابن خلدون" و لم يسمح بامتلاك الشمول والعموم الذي تتسم الحضارة، ويتسم به التاريخ والتجديد الحضاري في مدلوله ووظيفة يتصل بإنسان الحضارة والتاريخ كما يتصل بإنسان المجتمع والتاريخ.

يمثل التجديد الحضاري في ارتباطه إنسان التاريخ والمجتمع والتاريخ قوة فعالة أساسها التغيير داخل التاريخ ليبني الحضارة فينتقل الإنسان على أثر الدفعة الصادرة عن القوى من مرحلة ما قبل الحضارة إلى مرحلة الحضارة يوجد فرق كبير بين إنسان ما قبل الحضارة والإنسان المتحضر، فالأول يعشي على الطبيعة في تصوراته وأخلاقه

[1]- الموقع السابق.

وسائر أعماله تحركه حاجاته البيولوجية ومعطيات بيئته الجغرافية والبشرية التي تتميز بالبساطة لا التعقيد وهو حال الإنسان في المجتمعات البدائية وحال العرب في الجاهلية أما إنسان الحضارة يعيش على طبيعة وعلاما تبدعه عبقريته في الجانب الفكري والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي استطاعة أن يسخر طاقته لإضافة عالم جديد إلى عالم الطبيعة الموهوب بالفطرة هو عالم الحضارة وعندما يقف الشخص على قمة الجبل ينظر إلى الأسفل يرى المدينة بمبانيها وشروعها والبحر في شمالها والسماء فوقها والجبال والغابات من حولها فهو يرى العالم الجديد **عالم الحضارة** الذي هو امتداد للطبيعة إضافة الإنسان في عالم الطبيعة [1] .

يتضح فيما سبق أن التجديد الحضاري هو إستراتيجية البناء الحضاري، والحضارات التي شهدها تاريخ الإنسانية هي تجسيد لهذه الإستراتيجية وتنفيذ لهذه الخطة المرسومة فيها والتي تحدد المبادئ والغايات كما تعين الوسائل والسبل انطلاقا من حركة التغيير مضبوطة وذات فعالية تسمح للإرادة الحضارية بالإقلاع في عملية البناء والتجديد وتحطيم كل ما يعيق التحضر ويمنع النهضة ففي مرحلة ما قبل الحضارة يقوم "**التجديد الحضاري**" بعملية التجمع فيها سائر الشروط والعوامل النفسية والاجتماعية والانطلاق وبداية الانطلاق ليواصل التجديد سيره لضمان أهداف وعليات حضارية تاريخية.

---

[1] - الموقع السابق.

ويبقى التغيير وما يمثل جوهر التجديد في حياة أية أمة دخلت التاريخ وشرعت في البناء الحضاري، هذا البناء يحتاج إلى قوة ومتانة ليدوم ويستمر وعامل الحصول على هذه القوة التي تضمن الاستمرار والدوام للحضارة هو تجديد الأفكار وتجديد الأشياء وتطوير سائر المنتجات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ففي الكثير من الأحيان نجد شعوبا ضعيفة وتعاني مشكلة الجمود الفكري والركود الاجتماعي بسبب غرورها واعتقادها بأنها قد بلغت قمة الرقي وذروة التحضر فكلما أخذت الأمة بشروط وبعوامل التجديد كلما حافظت على منجزاتها الحضارية وكلما غابت عنها فيها الفعالية انحدرت وفقدت قوتها واتجهت نحو الانحطاط والشهوة، هذه الحقائق تبنيها دروس التاريخ وفلسفة الحضارة وكل الحضارات التي عرفتها الإنسانية القديمة والمعاصرة ولا تفلت من هذا القانون.

إن مرحلة ما قبل التاريخ تشرط التجديد الحضاري لنقل الإنسان إلى عالم الحضارة ،وفي مرحلة الحضارة يحتاج الإنسان إلى التجديد الحضاري لتقوية البناء الحضاري وتطويره وتحصينه والمحافظة على بقائه واستمراره لأن عوامل الفساد وأسبا الهرم كثيرا ما تدخل المجتمع لتناول منه ومن أفراده ، والصراع بين القوة والخير وبين قوى الشر أي أن بين قوى البناء وقوى الهدم طبيعي في البشر في المجتمع وفي حالة تغلب محاول الهدم على شروط البناء يضعف المجتمع وينتكس ويتراجع بسبب انتشار الفساد فيه اختلال، نظمه وتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية فلم تعد القيمة الثقافية

خلقية في جوهرها وتعود في أصلها إلى عامل روحي بل نسجل انفصال هذه القيم عن بعضها البعض وانصراف الناس عن القيم العليا للإشغال بالقوية الحيوية التي تزكي الشهوات والغرائز ولا تغير أدنى عناية بمكارم الأخلاق[1].

أمام هذه الحالة من الفساد تقوم الحاجة الماسة إلى التجديد الحضاري باعتباره إستراتيجية يحددها المجتمع حسب معطياته ومطالبة تمثل منهج إصلاح وأسلوب إعادة بناء هذه الإستراتيجية تأخذ في الاهتمام الجانب الفردي والجانب الاجتماعي خصوصيات المجتمع التاريخية والفكرية والروحية والطبيعة والاقتصادية عن تحديد مبادئ وشروط الإصلاح ووسائل وأساليب إعادة البناء وهو أمر يسمح للمجتمع بنهضة لصلاحية شاملة يكون الدور فيها لحركة التجديد الحضاري. فشعوب أروبا في العصر الحديث عرفت نهضة علمية وتقنية رائدة انبثقت عنها الحضارة الأوربية.

هذه النهضة قامت على إصلاح مختلف الأوضاع وتجديد الأفكار والأشياء وكان ذلك وفقا لخطة عناصرها ومراحلها ومبادئها وغاياتها متكاملة، وإصلاح النفوس والعقيدة والتربية والتعليم في العالم الإسلامي الحديث هو هدف الحركة الإصلاحية وكل ذلك يدخل ضمن خطة لإصلاحية تحارب الفساد وتطلب الجديد وتسعى إلى إعادة الأمة إلى مكانتها في التاريخ وفي رحاب الحضارة والمدينة [2] .

---

[1]- الموقع السابق.

[2]-الموقع السابق.

قد يعتمد أفراد الأمة المتحضرة التي شهدت اختلال في حياتها الفكرية والاجتماعية أو تلك التي انهارت حضارتها على أسلوب الإحياء والبعث، إحياء ارث الأولين وأمجادهم وفي هذه الحالة تحتاج الغاية إلى منهج وأسلوب يتماشى مع خصوصيات الأمة ومع أوضاعها القائمة وظروفها المعاشة من جهة ومع المحيط الذي يعيش فيه وتعيش فيه الأمم الأخرى لها تأثير مباشر أو غير مباشر غن منهج العملية ومبادئها ووسائلها وغاياتها تحددها إستراتيجية هي إستراتيجية التجديد الحضاري ونجاح الأمة أو فشلها في عملية البعث والإحياء.

مرهون بطبيعة إستراتيجية التجديد الحضاري من جهة ومدى قدرة الأمة على التنفيذ خطة تلك الإستراتجية توجد أمم اعتمدت إستراتيجية وضعتها في حالة انغلاق وتقوقع فازدادت انعزالا وتخلفا أمام الصراع وتقدم الحضارتين وأخرى فقدت هويتها لأنها انغمست في ما ليس لها وأخرى نجحت إلى حد كبير في محاولة التوفيق بين ثروتها وتطورات عصرها وأخرى لازالت تحاول وهي تنجح تارة وتفشل تارة أخرى.

إنما كل التجديد حضاري في أي مجتمع وفي أي مرحلة من مراحل التاريخ هو إستراتيجية تغير أوضاع وظروف الفرد النفسية والاجتماعية نحو الأفضل وبما يضمن تطوير تفكيره وسلوكه وأعماله وتوطيد كل ما يتصل بالأعمال من وسائل وطرق ونتائج هذه الإستراتيجية تربط بين المبادئ والغايات ضمن نظرة شاملة وخطة عامة يبينها المجتمع ويحرص على تنفيذها هذه الخطة ذات أبعاد كثيرة ومختلفة ومتداخلة وهي

إنسانية، تاريخية، اجتماعية، أخلاقية، جمالية ودينية وروحية، ولها شرط وهي شروط كل نهضة وعوامل بناء الحضارة وتجديد منجزاتها، ويظهر التجديد الحضاري في منتجات الحضارة التي يعرفها ميدان الفكر والثقافة وميدان الاقتصاد، ففي ميدان الثقافة نجد التجديد الحضاري في الحضارة المعاصرة قد فجر تقدما كبيرا في مجال العلمي من حيث المناهج والوسائل والنتائج وفي مجال الاقتصادي شاهدت تطور ملحوظا في وسائل العمل وأساليبه وتقنيته ناهيك عن التطور المدهش الذي عرفته وسائل النقل والاتصال [1] .

[1]-الموقع السابق.

الفصل الثاني

مالك بن نبي والبعث الحضاري

المولد والنشأة: ظروف تعلمه.

ولد مالك بن عمر بن لخضر بن مصطفى مساء الأول من جانفي عام 1905م تنقل في صغره إلى مدينة تبسة حيث زاول تعليمه الإبتدائي بها بالمدرسة الفرنسية على الطريقة النظامية الحديثة موازاة مع ذلك كان يتردد على المدرسة القرآنية لحفظ القرآن في الطريقة التقليدية ([1]) وفي هذا الصدد يقول " **كنت أقصدها كل يوم في الصباح الباكر لأكون** " فيما بعد عند الثامنة صباحا في المدرسة الفرنسية" لكنه فيما بعد انقطع عن مزوال الدراسة بالكتاب، واستمر بالمدرسة الابتدائية، لأنه كما يرى لم يستطع على الرغم من السنوات الأربع التي قضاها حفظ سوى عدد قليل من السور القرآنية نظرا لعدم نجاعة الطرق التربوية المعتمدة في عملية الحفظ ([2]).

بعد انهائه للمرحلة الإعدادية بتفوق انتقل إلى قسنطينة لإتمام دراسته الثانوية عام 1920م وكان يتلقى دروسه بالفرنسية ويتردد إلى جانب ذلك على دروس النحو العربي بالجامع الكبير، بعد تخرجه متفوقا من الثانوية عام 1924م قرر السفر إلى فرنسا مع صديق له و لم يكن المر سهلا ففشل في إيجاد عمل مناسب وعاد أدراجه وفي الجزائر نجح أولا في العمل كمساعد كاتب بمحكمة تبسة ثم نجح في أن يحصل على وظيفة بمحكمة أفلو في

---

[1]- بشير قلاني: هكذا تكلم مالك بن نبي نحو منهج رشيد للتغير الاجتماعي والحضاري والبعث الحضاري منشورات مكتبة إقرأ الجزائر، ط1 2007 ص17.

[2]- موسى لحرش إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي مختبر التربية والجريمة في المجتمع جامعة عنابة الجزائر 2006 ص12.

1927م انتقل بعدها في العام نفسه إلى العمل بمحكمة شلغوم العيد لكنه سرعان ما استقال منها.

قرر مالك بعدها معاودة السفر إلى باريس في عام 1930م وسارع إلى التسجيل نفسه بمعهد الدراسات الشرقية لكنه رفض وكان مالك ميالا إلى دراسة العلوم التطبيقية والرياضيات خاصة فقرر بعد نصيحة من زميل له بفرنسي أن يتسبب لمدرسة الاسلكي لدراسة الهندسة الكهربائية وفي عام 1935م تزوج من فتاة فرنسة كان اسمها " **سليستي بول فيليبون** " وهداها الله لإعتناق الإسلام وتسمت بخديجة، وقد كانت نعم الزوجة تعرف من خلالها على جانب: أهلها وعلى فرنسا حيث كانت إقامته إلى أن تخرج كمهندس كهربائي عام 1936م حيث بدأ يفكر بالسفر إلى الحجاز ومصر ليقيم مشريع عمل هناك لكنه فشل ففكر بالسفر إلى اليبان أفغانستان لكنه فشل كذلك ([1])، بدأ مالك بن نبي يحس بخيوط عنكبوتية تضعها أجهزة مختصة في الصراع الفكري، مسلطة على أبناء المستعمر والمثقفين منهم على وجه الخصوص، فحين أسس عام 1938م بمرسيليا مدرسة بسيطة لمحو الأمية منعتة السلطات من التدريس بمبررات واهية سرعان ما كشف الحقيقة وهي أن أوامر هبطت من فوق بغلق المدرسة.

---

[1]- بشير قلاتي، مرجع سابق ص19.

لم تقف الأمور عند هذا الحد بل وصلت إلى الحد تلقيت تهمة له بالعمل لصالح النازية فأودع السجن في أوت 1944م إلى أفريل 1945 ([1]) وفي السجن كتب " الظاهرة القرآنية" الذي كان له تأثير واضح على الكثير من الفرنسيين أنفسهم إلى درجة أنه كان ممنوعا من مطالعته على القساوسة خوفا على عقيدتهم ([2]) كما أصدر بعد خروجه من السجن رؤية فكرية لمشاكل العالم الإسلامي لخصها في مشكلة كبرى (مشكلة الحضارة) فحدد لها: "شروط النهضة" عام 1948م ورسم لها "وجهة العالم الإسلامي (1954) ووضع لها فكرة "الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ" (1956) ثم تولى إنتاجه الفكري من خلال كتب مطبوع أو مقالات منشورة، سافر مالك بن نبي غلى مصر في 1956م هناك أتقن الغة العربية وصار يكتب بها الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، وكان متأثرا بما حدث له في فرنسا وقد أطلع أنور السادات على كتابه "شروط النهضة" على وعيه مستشارا للمؤتمر الإسلامي بالقاهرة 1956م بعد طول غيابه عن الجزائر قرر العودة عام 1963م إلى الجزائر أين عين مدير التعليم العالي، ولكن بسب البيوقراطية ولامبالاة بالتوجيهات الثقافية استقال من منصبه عام 1967م ليعمل بحرية في نشر الوعي الحضاري وبث قيم الثقافة الحية بما يسميه الفعالية في العمل والسلوك ([3]).

---

[1]- نفسه

[2]- نفسه.

[3]- مرجع السابق ص21.

في العام 1972م أدى فريضة الحج وفي طريق العودة أقام بدمشق وحاضر فيها عن دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين طبعت فيما بعد في كتاب صغير فيه وصيته الأخيرة لشباب المسلم وفي عام 1973م اشتد به المرض وأجريت له عملية البروستان بباريس لكنه قدر الله له أن يتوفى –رحمه الله- يوم الأربعاء 31أكتوبر 1973م([1]).

ملامح شخصية مالك بن نبي:

أولا: المميزات الأخلاقية والسلوكية:

1-**العاطفة والمسامحة:** كان **–رحمه الله–** قوي العاطفة شديد الحساسية لمعناة الناس من حوله، كما كان يسارع إلى مساعدة المحتاجين ولو كلفه ذلك التفريط في حاجاته فكان –رحمه الله- ذو النفس كريمة مضيافة لا تنوه بما بنفقة عن الضيوف ولو مع الخصاصة.

2-الإجتماعية ومخالطة الناس: لم يكن مالك بن نبي من يضعون أنفسهم في أبراج عاجية، بل كان يكثر من مخالطة الناس من جميع طبقات المجتمع يحادثهم ويستفيد منهم من خبرتهم سواء كانوا مثقفين او من اصحاب الحرف الأمين.

---

[1]- نفسه المرجع السابق ص26.

3-علو العمة وقوة الطموح: كان مالك بن نبي يتمتع بطموح كبير جعله يفكر في عدة مشاريع بناءه مثل السفر إلى السعودية وإقامة مشروع للإستفادة من الطاقة الشمسية، كما كان يريد إقامة مصنع لصناعة الإسمنت وصناعة الأصبغة والعطور... الخ

4-الإلتزام الديني والنزعة الوطنية: كان –رحمه الله- ملتزما بالصلاة وتلاوة القرآن الكريم شديد الغيرة على محارم الله مسارعا إلى تغيير المنكر ولو بأضعف الإيمان أما وطنيته وحبه لبلدة فتجسدها رغبته الشديدة في المشاركة في الثورة بقلمه ولسانه وهو الدور الذي قام به على الجبهة القفافية

5- الإعتراف بالخطأ والتراجع عنه:

كان يمارس النقد الذاتي فكان يسارع إلى الرجوع عن خطأه فتراه يعترف بأن انتقاده لشيخ العربي التبسي لم يكن موضوعيا.

6 – حبه لنظافة والجمال: كان منذ صغره يحب النظافة والتي يتميز بها حتى أن معلمته الفرنسية كانت تضرب به المثل لبقية زملائه التلاميذ ومما غدى لديه هذا الميل زوجته الفرنسية خديجة التي كانت تحرص على تنظيم البيت بما حوله آية في الجمال.

7- النفور الشديد من الثرثرة والكسل: كان رحمه اله يحب العمل والإنتاج أي تحويل الكلام المجرد إلى عمل مجسد وكان يكره التبطيل والإشكالية.

ثانيا: الخصائص الذهنية والعقلية:

1-التفكير الرياضي: كان مالك بن نبي يحب الدقة في التحليل والإستدلال ويدعوا إلى ضبط المصطلحات والمفاهيم ولا يقبل التعميم، حتى إذا أعجبته قضية منضبطة محددة قال إنها فكرة أو قضية رياضية.

2-الذكاء الحاد وبعد النظر: تميز بالفطنة والذكاء الشديد حتى أنه يستطيع تحديد اختصاص السائل من سؤاله، كما كان لدقه ملاحظته وتحليله لظواهر الإجتماعية والأحداث السياسية وتتبعه لتطوراتها، دورا بارزا في بعد نظره وتنبؤه بأحداث أثبت الأيام صحتها ما يدل على صحة تفكيره الإستراتيجي.

ثالثا: العوامل المؤثرة في ثقافته:

1-أسرته المدينة المحافظة: حيث نشأ في أسرة متدينة غرست فيه منذ الصغر أخلاق وفضائل الخير والصلاح، وقد ساهم أمه وجدته بدور هام في ذلك

2-تيار الفكر الإصلاحي: تأثر مالك في التوجيه الفكري بأستاذته من علماء التيار الإصلاحي، وخاصة أستاذ التوجيه والسيرة الشيخ "المولود بن موهوب" الذي كان يركز على التعليم وربط النهضة ببناء الإنسان، كذلك رائد الإصلاح في الجزائر :عبد الحميد بن باديس" من خلال جمعية العلماء المسلمين ونشاطه الإصلاحي

3-كثرة مطالعته المزدوجة:

كان مالك بن نبي شديد الشغف بالقراءة والمطالعة الصحف واتصاله بالقرآن الكريم وهذا ما أفاده ووسع ثقافته وبعد اتساع مداركه بدأ يقرأ بالعربية والفرنية، فقرأ لكل من "اوجين يونغ" "نيتشه" و "وجون ديوي" ما وضع عقله وأفكاره باتجاه محدد، بالموازاة مع ذلك قرأ بالعربية، "لمحمد عبده" و "أحمد رضا" والشعر الجاهلي والحديث.

إن مطالعة بن نبي للصحف غرست فيه النزعة الوطنية، ومطالعته للفكر الغربي نمت فيه المنطق والمنهج العلمي والتروح نحو الفعالية أما مطالعته للفكر العربي الإسلامي فقد حصنته من الفكر المادي وغدت قلبه وروحه... وكل ذلك أهله لأن يكون يصبح كاتبا مختصا في تحليل مشكلات العالم الإسلامي.

4-معايشة للمجتمع الفرنسي:

في هجرته إلى فرنسا واستقراره هناك مدة طويلة من الزمن أمكنه من معاينة كثير من الظواهر الاجتماعية التي أثرت أيما تأثير في بلورة اتجاهه الفكري، منها فعالية المجتمع الغربي ومنطقه العلمي، فزاد من تأكيد إدراك مالك بأن تضافر الفعالية من جهة السلوك

الاجتماعي، والعلمية من جهة التفكير الإنسان كفيلان بتحقيق النهضة والتغيير الاجتماعي([1]).

آثاره ونتاجه الفكري:

لقد ترك "مالك بن نبي" عدة مؤلفات شددت كلها على إبراز مشكلة العالم المتخلف، بما في ذلك العالم الإسلام، باعتبارها قضية حضارة أولا وقبل كل شيء فوضع كتبه جميعها في سلسلة تحت عنوان "مشكلات الحضارة" ويمكن ذكر أثاره تبعا لنشرها لأول مرة.

الظاهرة القرآنية:

وهو كتاب صدر بالغة الفرنسية تبنى فيه مؤلفه رؤية خاصة للعقيدة تركز على فعالية دورها في بعث المجتمع، أي أنه محاولة للتأمل الواعي في الدين، الذي يضع النهضة في اللحظة الحاسمة حينما تنطلق الشرارة الروحية في اتجاه تغيير مجرى التاريخ...

- لبيك (الجزائر 1947م)

وهي رواية وحيدة تتسم بالشاعرية باللغة الفرنسية وتعتبر عن حيرة الإنسان ومعناته في العالم المختلف حضاريا، لا سيما في العالم الإسلامي، الجوع- الجهل- الإهمال.

---

[1]- نفسه المرجع السابق ص ص26-38

- شروط النهضة (الجزائر 1948)

وهو كتاب صدر باللغة الفرنسية يتناول مشائل الحضارة والتاريخ والمستقبل والغاية من وراء ذلك البحث نهضة حقيقية للعالم الإسلامي والعالم المتخلف ككل وهو يتحدث أيضا عن عناصر الحضارة الثلاثة، **الإنسان، التراب، الزمن** وعن أثر الفكرة الدينية أو بالأحرى الفكرة الخالصة في تكوين الحضارة وعن توجيه الثقافة والتوجيه الأخلاقي والجمالي وعن توجيه العمل ورأس المال، إنه يظهر بوجه ([1])عام المشكلات التي تعيشها مجتمعات العالم الإسلامي والعالم المتخلف ككل باعتبارها مشكلات اجتماعية ينبغي فهمها وتعقل آليات ويصر على أن النهضة عملية تغيير ترفع الفرد إلى مستوى المسيرة الاجتماعية التاريخية.

- وجهة العالم الإسلامي (باريس 1954)

وهو كتاب صدر بالغة الفرنسية بحث فيه مؤلفه مشكلة مجتمعات العالم الإسلامي المشتركة (الأزمة الحضارية) بحيث استعرض تاريخها انطلاقا من العهد الذي ظهر فيه الإسلام وكذا المراحل التي مرت بها ليقف بعد ذلك مطولا عند العقدة الأساسية في صورتها العالمية كل ذلك من أجل اظهار باب لنجدة والمنفد وحل العقدة بتسليط الضوء أكثر على واقع المجتمعات العالم الإسلامي.

---

[1]- نفسه المرجع ص ص 26-38.

– الفكرة الإفريقية الآسيوية:

وهو كتاب ظهر بمناسبة انعقاد مؤتمر "باندونغ" 1955م وصدر باللغة الفرنسية حيث وضع فيه الأسس النظرية والمناهج التطبيقية لبروز كتلة جديدة على الصعيد العالمي والتاريخ البشري، يحتل فيها العالم الإسلامي مكانة هامة لكن هذه الفكرة لم تجسد على أرض الواقع نظرا لغياب الإرادة عن بعض الأعضاء لتحقيق ذلك.

– النجدة للجزائر (القاهرة 1657م) وهو كتاب صدر باللغة الفرنسية وجه من خلاله "مالك بن نبي" نداء للضمير الإنساني العالمي من أجل اتخاذ موقف إنساني حضاري حازم بشأن عمليات الإبادة التي كان قد تعرض لها المجتمع الجزائري من طرف الإستعمار الفرنسي.

مشكلة الثقافة: (القاهرة1959م)

صدر هذا الأخير أيضا باللغة الفرنسية تناول فيه مؤلفه أيضا قضية الثقافة في مجتمعات العالم الإسلامي وفي غيرها من المجتمعات المختلفة حضاريا من زاوية خاصة أي من زاوية الذي يبحث عن ضالة افتقدها هذه المجتمعات وليس من زاوية الذي يصف واقعا

اجتماعيا ماثلا أمام عيني في نظم بلاده، وفي فعالية السلوك حوله وفي ذلك الترابط الـــذي هو جوهر التزام متبادل بين المجتمع والفرد ([1]).

– حديث في البناء الجديد (بيروت1960):

ويتضمن ها الكتاب خمس محاضرات مترجمة من الفرنسية إلى العربية ألقها **"مالـــك بن نبي"** في مناسبات مختلفة أثناء زيارته لكل من لبنان وسوريا وتشكل هذه المحاضرات في مجموعها وحدة في الموضوع، بحيث تتم كل وحدة منها الأخرى، ولقد جاء ترتيبـــها في هذا الكتاب على هذا الأساس بغض النظر عن الزمن الذي ألقيت فيه.

– الصراع الفكري في البلاد المستعمرة: (القاهرة 1960م)

وهو كتاب صدر أصلا باللغة العربية حاول فيه "مالك بن نبي" الكشف عن حقيقة الصراع الفكري ولغته تلك اللغة التي ليس لها معنى واضح إلا بالنسبة لمن عـــاش بـــدوره تجربة شخصية.

الصعوبات كعلامة نمو في المجتمع العربي: (القاهرة 1960)

ويتضمن هذا الكتاب محاضرة مترجمة من الفرنسية إلى العربية ألقاها "مالك بن نبي" في الاتحاد القومي في دمشق يوم 9أوت1960، وتناول فيها عقدة كثيرا ما عانا منها الأفراد

---

[1]- موسى لعرش، مرجع سابق ص ص 51-53.

في المجتمعات الإسلامية وتتمثل في استهلال الصعب واستصعاب السهل فهو محاولة لتوضيح الصعوبات التي تعاني منها هذه المجتمعات اليوم في مواجهة ضرورات البناء الداخلي وقد استهدف فيه مؤلفه "مالك بن نبي" المساهمة في إزاحة مركب النقص هذا عن كل فرد.

فكرة كومنولث إسلامي: (القاهرة 1960)

وهو في الأصل عبارة عن مخطوط كتبه (مالك بن نبي) بالغة الفرنسية في نهاية الخمسينات ثم ترجم فيما بعد إلى العربية وفيه حاول رسم إطار عام لمشروع يمنع العالم الإسلامي موضعا ضمن خارطة العالم المعاصر، موقعا ينم عن الإدراك والوعي بدقائق مسيرة العالم الحديث وفوق ذلك عن القدوة في السلوك والمبادرات وكذا الحضور المؤثر في هذه المسيرة **تأملات في المجتمع العربي (القاهرة1961)**

ويتضمن هذا الكتاب خمس محاضرات مترجمة من الفرنسية إلى العربية، ألقاها "مالك بن نبي" في مناسبات مختلفة خلال زيارته لسوريا وتعال هذه المحاضرات في مجموعها موضوعا مشتركا يدخل في نطاقه المجتمع العربي، كما يدخل في نطاقه أيضا العالم الإسلامي، والعالم المختلف بصفة عامة، إنه موضوع العوائق المجتمعية التي تحول دون التقدم، وكذا كيفية تجاوزها في **مهب المعركة (القاهرة 1961)**: وهو عبارة عن مجموعة مقالات كتبها "مالك بن نبي" في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينات (1949-1954)

ونشرها في جريدتين جزائريتين ناطقتين بالفرنسية هما "الشباب المسلم" و" الجمهورية الجزائرية" ولما لجأ إلى القاهرة سنة1956 بدا له من المفيد جدا أن يترجم هذه المقالات وينشرها بالعربية .

مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي:

أ تعريف الحضارة:

الحضارة كما يعرفها "مالك بن نبي" هي إنتاج فكرة حية تطبع على المجتمع في مرحلة ما قبل التحضر، الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى [1].

نلاحظ من خلال هذا التعريف أن أساس الحضارة هي الأفكار في نظر مالك بن نبي، فهو يرى أن للفكرة المسيحية مثلا الفصل في دخول أروبا التريخ ولكن من الواجب أن يكون للأفكار دورا وظيفيا لكي يدخل مجتمع ما في التاريخ لأن الحضارة في رأيه القدرة على القيام بوظيفة أو بمهمة معينة فهو يقول " **ويمكن تعريف الحضارة في الواقع بأنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل فرد من أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه**" [2]

وهذا المفهوم يخالف علماء الأنتربولوجيا، الذين يعتبرون كل شيء من أشكال الحياة الحضارية، فإذا أخذنا بعين الاعتبار هذا المفهوم كيف يمكننا أن نفرق بين ما هو حضاري وغيره؟ [3]

---

[1]- آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي ص122.

[2]- نفس المرجع ص122.

[3]- نفسه ص123.

ب- مشكلة الحضارة:

درس مالك بن نبي مفهوم الحضارة من نواحي ثلاث كما سبقت الإشارة وهذه النواحي هي:

1ـــ من حيث تركيبها: أي من حيث العناصر الأساسية التي تتكون منها الحضارة.

2ـــ من حيث وظيفتها ، أي باعتبار وظيفة الحضارة في المجتمع [1][2] [3].

3ـــ ومن الناحية التاريخية والإجتماعية، أي كيف تنشأ الحضارة وترتقي ثم تنحط (49).

1) الحضارة من حيث تركيبها:

2) إن العناصر الأساسية التي تتكون منها كل حضارة هي:

الإنسان والتراب والوقت.

ومن هنا تنحل مشكلة الحضارة إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان مشكلة التراب ومشكلة الوقت فلكي تقيم حضارة ،"يقول مالك بن نبي" لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات وغنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاثة من أساسها ومع ذلك فإن الصيغة التالية:

كل ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت

تشير التطبيق اعتراضاها ماهو: إذا كانت الحضارة في مجموعها ناتجا للإنسان والتراب والوقت، فلم لم يوجد هذا الناتج تلقائيا حيث ما توفرت هذه العناصر الثلاثة؟

---

[1]- مرجع سابق ص122.

[2]- نفسه ص122-123.

[3]- نفسه ص123.

في نفس العربية العذراء التي لم تنشأ فيها ثقافة ولا ديانة سابقة فخلالها بذلك الجو" [1]

ويجيب "مالك بن نبي": عن السؤال الثاني كذلك بالإيجاب: فالدين قابل للتطبيق دائما ذلك "أن قوة التركيب لعناصر الحضارة خالدة في جوهر الذين وليست ميزة خاصة بوقت ظهوره في التاريخ فجوهر الدين حسب العبارة الشائعة مؤثر صالح في كل زمان ومكان " [2]

هذا ما ذكره "مالك بن نبي" في الفصل الأول الذي خصصه لأثر الدين في بناء الحضارة لكنه عاد للموضوع في فصل ثان عنوانه "**أثر الفكرة في تكوين الحضارة**" ويبدأ هذا الفصل باستعراض النظريات المتعددة في نشأة الحضارة وتطورها ولكنه يفرضها جميعا، غير أنه يميل إلى الأخذ بنظرية كسرلنغ التي تقول بأن الحضارة تركيب من الروح المسيحية والتقاليد الجرمانية ويحاول أن يطابق بين هذه النظرية وما حدث للإسلام فهو يقول: "**ولقد يبدوا في أفكار كسرلنغ ما يمدنا بتخطيط تحليلي للواقعة المسيحية نستطيع أن ندرج في نطاقه الواقعة الإسلامية، وذلك لما فيها من وجوه التماثل البيولوجية، التاريخية المعينة التي تضع الحضارة في كلتا الواقعتين، ضمن حالات تطورية متشابهة**" [3]

فهو يجعل الدين الإسلامي في مقابلة الدين المسيحي والرجل المسلم مكان الرجل الجرماني.

والملاحظة طبقا لهذه النظرية أن الحضارة تمر بثلاث مراحل: مرحلة النهضة والأوج والأفول، تحدث النهضة عندما يهبط الوحي وفيها تبرز الروح لتكبح جماع الغرائز وتخضعها التنظيم يجعلها متوائمة مع الفكرة الدينية و لم كانت الغرائز إن هناك ما يطلق عليه (مركب الحضارة)

---

[1]- مالك بن نبي شروط النهضة ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين ط1، دار الجهاد القاهرة 1957.

[2]- المرجع نفسه ص87

[3]- مالك بن نبي شروط النهضة ص98.

الذي يتاثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض، هذا (المركب) هو الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ [1]

دور الدين في بناء الحضارة:

يتناول مالك بن نبي "دور الدين في بناء الحضارة في فصلين من فصول كتابه فقد شعر أن ما ذكره في الفصل الأول عن الدين ودوره غامض وغير مفهوم فاتبعه في الطبعة اللاحقة [2] ، بفضل آخر حاول فيه تفضيل ما ظل فيها من دوره، ففي الفصل الأول يضع هذين السؤالين:

1- هذا المبدأ الإسلامي سليم في تأثيره التاريخي؟

2- هل يمكن للشعوب الإسلامية تطبيق هذا المبدأ في حالة الراهنة.

يجيب عن السؤال الأول بالإيجاب، ثم يشرح ذلك بقوله: إن الحضارة لا تظهر في امة من المم إلا في صورة وحي يهبط يكون للناس شرعة ومنهاجا" [3]

فوسيلة الحضارة متوفرة مادامت تلك الفكرة متوفرة (الدينية) إذا مادام الوحي موجودا يؤلف بين هذه العوامل الثلاثة:

الإنسان والتراب والوقت، ففي هذه الفترة من نزول الوحي تسيطر الروح على الحياة الأمة وتظل هي العامل الرئيسي في سيرها التاريخي وقد تمثله هذه الفترة في الإسلام في المدة

---

[1]- المرجع السابق ص123.

[2]- آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي ص123.

[3]- نفسه ص123.

الواقعة من ليلة نزول الوحي على الرسول (صلى الله عليه وسلم) في غار حراء وموقعة صفيه عام 38هـ [1]

فالحضارة القائمة على الدين تولد مرتين، مرة عند نزول الوحي ومرة أخرى عندما تسجل الفكرة الدينية في نفوس معتنقيها، أي دخولها في أحداث التاريخ والدليل على ذلك ما حدث في أحضان المسيحية، فقد ولدي أولا: عندما تلقى عيسى (عليه السلام) الوحي وولدت ثانيا في عصر النهضة لكن المولدين حدث في وقت واحد في الإسلام وذلك يعود إللى الفراغ الذي وجدته الفكرة الإسلامية جامحة بحكم حقيقتها فلا بد من دفعة روحية قوية للتغلب عليها وتنظمها ومن هذا كانت البداية الروحية ضرورية تجعل الفرد يتحرر جزئيا من قانون الطبيعة المنظور في جسده ويخضع وجوده في كليته إلى المتتضيات الروحية التي طبعتها الفكرة الدنية، في نفسه بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح [2] ويتمثل هذا القانون أفضل ما يتمثل في حالة بلال "حينما كان تحت صوت العذاب يرفع سبابته ولا يفتر عن التكرار قولته أحد أحد إذ من الواضح أن هذه القولة لا تمثل صيحة الغريزة، فصوت الغريزة صمت ولكنه لا يمكن ان يكون قد ألقى بواسطة التعذيب كما أنها لا تمثل صوت العقل أيضا فالألم يتعقل الأشياء أنها صيحة الروح التي تحررت من أسرار الغرائز بعدما تمت سيطرة العقيدة عليها نهائيا في ذاته "**بلال بن رباح**" [3] وفي الوقت نفسه يواصل المجتمع الذي أبرزته الفكرة الدنية إلى النور تطوره وتكتمل شبكة روابطه الداخلية بقدر امتداد إشعاع هذه الفكرة في العالم [4]

---

[1]- نفسه ص124.

[2]- مالك بن نبي شروط النهضة ص98-101.

[3]- نفسه ص101-102.

[4]- مالك بن نبي شروط النهضة ص102-103.

باتساع المجتمع تعدد مشاكله وتتعقد وتولد ضرورات جديدة فيه وحينئذ تظهر الحضارة إلى التلبية هذه المقاييس المتجسدة، وتسلك لذلك منعطفا جديدا هو منعطف عقلي (يتمثل في استلاء الأمرين على الحكم على أن العقل لا يملك أن يجعل الروح تستمر في سيطرتها على الغرائز فتفتقد هذه نفوذها على الغرائز بالتدريج فيبدأ تدريجيا في التحرر أثناء سيطرة العقل تزدهر العلوم والفنون [1]

باتساع المجتمع تتعدد مشاكله وتتعقد وتولد ضرورات جديدة فيه وحينئذ تظهر الحضارة إلى تلبية هذه المقاييس المتجسدة وتسلك لذلك منعطفا جديدا هو منعطف عقلي (**يتمثل في استلاء الأمويين على الحكم على أن العقل لا يملك ان يجعل الروح تستمر في سيطرتها على الغرائز فتفقد هذه نفوذها على الغرائز بالتدريج ويبدأ تدريجيا في التحرر وأثناء سيطرة العقل تزدهر العلوم والفنون**)

وعند انتهاء سيطرة الروح تماما وتحرر الغريزة يبدأ التطور الثالث طور الأول، وفيه تنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية وتصبح عاجز عن القيام بمهامها، إذ يكون المجتمع قد انحل وجرفه تيار الفوضى واستحال إلى عدم [2] تلك هي دورة الحضارة، تتم على هذا المنوال، (غذ تبدأ حينما تدخل فكرة دينية معينة، أو عندما يدخل التاريخ مبدأ أخلاقي معين".

على حد القول (**كسر لنغ**) كما أنها تنتهي حينما تفقد الروح نهائيا الهيمنة التي كانت لها على الغرائز المكتوبة والمكبوحة الجماح [3]

---

[1]- نفسه ص103.

[2]- مالك بن نبي ، شروط النهضة ص103.

[3]- المرجع نفسه، ص105.

وتمر الدورة الحضارية ثلاث مراحل، مرحلة النهضة متمثلة في ظهور الروح وسيطرتها على الغرائز وتحكمها في سير الأحداث وتليها مرحلة الأوج متمثلة في ظهور العقل وازدهار العلوم وبداية الغرائز من جديد واخيرا تأتي مرحلة ثالثة هي مرحلة الغرائز وفيها تكون الروح قد فقدت سيطرتها نهائيا، فيخل المجتمع وتنهار حضارته في انتظار نعمة روحية تشيع في أرجائه ليقبل على الأرض بمهمة لا تعرف الكلل حيث يبني الحضارة من جديد.

وبعد ذلك يلاحظ مالك بن نبي حالة المجتمع بعد خروجه من الحضارة ويعقد مقارنة بينه وبين مجتمع لم يسبق له الدخول في حضارة ط إذ الإنسان الذي تفسخ حضاريا مخالف تماما للإنسان السابق على الحضارة أو الإنسان الفطري فالأول ليس مجرد إنسان خارج عن الحضارة فحسب، كما هي الحال مع الثاني الذي سميناه فيما سلف " بالإنسان الطبيعي" إذ الإنسان المسلوب الحضارة لم يعد قابلا لإنجاز "عمل محضر" إلا إذا تغير هو نفسه من جذوره الأساسية والعكس من ذلك، فإن الإنسان السابق على الحضارة يظل مستعدا للدخول في دورة الحضارة.

الإنسان:

بعد أن قام مالك بن نبي – في مؤلفاته- بتحليل وضع عالم الإسلامي في قرابة المائة سنة ماضية وبعد أن عرض نظريته وبين مكانة الدين فيها شرع في معالجة الجانب التركيبي، أو الجانب التطبيقي فيها.

فيما مضى عرض علينا عناصر هذه النظرية، والآن يبدأ في بيان كيفية بناء كل عنصر، وطبيعي أن يبدأ العنصر الأهم وهو الإنسان وفي هذا الصدر يلفت نظرنا أن هناك :

1) رجل المدينة
2) وهناك رجل الفطرة.
3) ومحترف الثقافة.

أما رجل المدينة فهو رجل الندرة والعفة فيل كل شيء "قد تغلغلت في نفسه دواعي الانحطاط... فهو يحمل روح الهزيمة بين جوانحه وهو دائما في منتصف الطريق الفكرة وهي منتصف تطور لا يعرف كيف يصل إلى هدف إذ هو ليس نقطة الانطلاق كرجل الفطرة، ولا نقطة الانتهاء كرجل الحضارة بل هو "**رجل النصف**" مسخ فكرة الإصلاح نصف فكرة وأطلق عليها اسم السياسة لأنه لم يكن مستعدا إلا لنصف جهد ونصف اجتهاد ونصف طريق [1]

أما رجل الفطرة فهو رجل البداية راع بلا مواشي وفلاح بلا محراث ولا أرض يرضي من الأشياء بالعدم الصنفان من الناس يجب القيام بالتعديل أفكارهما والتجاه نحوهما بالرعاية ليصبحا رجلين نافعين في بناء الحضارة.

أما النوع الثالث، محترف الثقافة، فهو التعالم أو المتعقل الذي يسخر كل شيء في المجتمع لمصلحته ويفعل كل ما في وسعه ليظل في أعلى السلم الاجتماعي، وهو لأنانية يحرص على البقاء في صدر المجتمع هذا الحرفي أو "**الصبي المزمن**" يجب غزالة من الطريق لأنه مرض في جسم الأمة، لا يقل في خطره عن الفقر وعن الجهل بل أن المرض والجهل والفقر يمكن علاجهما لكن "**الصبي المزمن**" لا علاج له فيجب بتره ليصفوا الجو للطالب العاقل الجاد [2]

---

[1]- مالك بن نبي شروط النهضة ص114-115.

[2]- مالك بن نبي ، شروط النهضة ص127-128.

الدورة الحضارية:

تشكل نظرية الدورة الحضارية، المدخل الذي يمكن من فهم المنظور الذي درس من خلاله (ابن نبي) الحضارة الغربية... فالدورة الحضارية باعتبارها من اهم أدواته التحليلية في دراسة وتحليل الحضارة ترتكز على المبدأ الذي وضعه ابن نبي) ويتخلص في أن الحضارة بحكمها قانون الهجرة او الدورة، والذي في حقيقته يعني استمرار الحضارة وتنقلها من مكان نفذت فيه عناصرها شروطها (الأولية إلى مكان آخر توفرت فيه الشروط، لتنطلق منها في دورة جديدة تواصل به سيرها إلى أن ينتهي التكليف وتنقضي سنة الحضارة والعمران البشري... فسنة التداول الحضاري نقطة مهمة في فهم المنطلق الذي من خلاله درس (ابن نبي) الحضارة الغربية وأفراد لها جانبا مهما في معظم كتاباته، وفي نظريته في البناء الحضاري.

وفي دراسته ل (**الظاهرة الدورية**) [1] ليصدر الفصل بقوله تعالى: (وتلك الأيام نداولها بين الناس) آل عمران 140 ليؤسس عليها قانونه في الدورة الحضارية، أو بتعبير آخر قانون التداول الحضاري، فيرى (ابن نبي) –رحمه الله– أن دراسة التاريخ لها جوانب متعددة، منها الجانب الفردي بالقياس إلى الفرد وبالتالي هو دراسة نفسية، ومنها الجانب الاجتماعي وبالتالي فالتاريخ من هذا الجانب دراسة اجتماعية، غذ يكون دراسة لشرائط نمو مجتمع معين، وهو إذ يعتبر ابن خلدون أول من اكتشف منطق التاريخ، من خلال نظريته في أعمار الدولة، وضيق مفهومه عن العصبية والدولة، على الرغم من أن ابن خلدون أول من اكتشف الظاهرة الدورية التي طورها (ابن نبي) رحمه الله وجعلها أساس نظريته في دورت الحضارة، وكذلك ينتقد (آرنولد توينبي) في نظرية المجال الجغرافي [2] غذ

1- www.urik....ipldia المثال بعنوان الدورة الحضارية عند مالك بن نبي

2- الموقع نفسه.

أن (نمو مجتمع معين لا يقوم على حقائق الجنس أو عوامل السياسة بقدر ما يخضع لخصائصه الأخلاقية والجمالية والصناعية المتوافرة في رقعة تلك الحضارة [1] على ا نمو المجتمع المرتبط بتوفر مجموعة من الخصائص في رقعة حضارته، لا يجعله ينعزل عن العالم، بل إن تطورت مشروط ببعض الصلات الضرورية مع بقية المجموعة الإنسانية، فالإكتفاء ب (مجال الدراسة) بمفهوم نوينبي يعزل الجانب الغيبي الميتافيزيقي للتاريخ، الذي يتطلب التجاوز بالدراسة إلى ما وراء السبلة التاريخية، لكي نلم بالظواهر في غايتها، فهناك خلف الأسباب القريبة أسباب تعيده، تخلع على تفسير التاريخ طابعا كونيا [2] فهذه الأبعاد الكونية لحركة التاريخ ونمو الحضارة، يجعلها (ابن نبي) مبررا لكي (تدرس التطور الحديث في العالم الإسلامي) أخذت بعين الاعتبار علاقات هذا التطور القائمة أو الممكنة مع الحركة العامة في التاريخ الإسلامي [3]

وإذا كان من الصفونة بمكان أن نحدد ونعرف جذور هذه الحركة بدقة في الزمان والمكان، حيث أن أبعادها التاريخية تتحرك في رقعة غير ثابتة من خلال التعاقب بين الحضارات، فإننا أمام جانبين جوهريين للحضارة: (الجانب الميتافيزيقي أو الكوني وهو جانب ذو هدف وغاية والجانب التاريخي الإجتماعي، وهو الجانب مرتبط بسلسلة من الأسباب وهذا الأخير تتمثل في الحضارة كأنها مجموعة عددية تتتابع في وحدات متشابهة، ولكنها غير متماثلة وهكذا تتجلى لأفهامنا حقيقة جوهرية في التاريخ هي (دورة الحضارة) [4]

فالمجموعات العددية المتتابعة في الحضارات المتعاقبة، تتشابه فب أنها تمثل كلها حلقات متصلة في الملحمة الإنسانية الخالدة وتختلف عن بعضها من حيث أن كل دورة محددة

1- الموقع نفسه.

2- الموقع السابق، المقال بعنوان الدورة الحضارية عند مالك بن نبي.

3- الموقع نفسه.

4- الموقع نفسه.

بشروط نفسية زمنية خاصة بمجتمع معين ([1]) فإذا توفرت هذه الشروط كانت الحضارة ثم إنها تهاجر غذا ما اختل تركيبها إلى مواطن آخر، لتتحول معه إلى حضارة أخرى، وفق التركيب الخاص للإنسان والتراب والوقت ومن هنا فغن (ابن نبي) ينتقد اللذين ينظرون إلى مشكلة العالم الإسلامي بسطحية ومعزل عن التيار العام للإنسانية والقانون الذي يحبط انتقال الحضارة في شروطها النفسية والاجتماعية، ويقول: (هذه الملاحظات تدفعنا إلى أن ننتقد مسلك بعض الباحثين حين ينظرون إلى ظاهرة (الحضارة) منفصلة عن ظاهرة (الانحطاط) وان العالم الإسلامي لفي مسيس الحاجة في هذه النقطة إلى أفكار واضحة تهدي بسعيه نحو النهضة، ولهذا فإن مما يهمنا في المقام الأول أن نتأمل الأسباب البعيدة التي حتمت تقهقره وانحطاطه ([2]) وفي دراسته للانحطاط العالم الإسلامي إلى تحقيق النهضة، يدعوا غلى تأمل دورة التاريخ وتسلسله، لتحقيق إدراك واع بمكاننا من دورة التاريخ وأن ندرك أوضاعنا، وما بعتورنا عوامل الانحطاط وما نطوي عليه من أسباب التقدم، فإذا ما حددنا من دورة التاريخ سهل علينا أن نعرف عوامل النهضة أو السقوط في حياتنا [3]

فتحديد المكان الذي نوجد فيه يسهل علينا كثيرا معرفة إمكانياتنا، كما يساهم في تحقيق دعي بأسباب التعلق وعوامل النهوض الكامنة في ذاتها وغذا ما غاب هذا التحديد فإننا قد ننهمك في حل إشكاليات ليست حقيقية أو أن صلتها بأزمتنا الحضارية صلة واهبة أو معدومة، إذ من الواضح أن الفرق الشاسع بين مشاكل ندرسها في إيطار الدورة الزمنية الغربية، ومشاكل أخرى تولدت في نطاق الدورة الإسلامية [4] فهناك فرق في الطور بين مشاكل مجتمع يعمل على التخلص من ركام التخلف و الدخول في دورة حضارية جديدة

---

[1]-الموقع نفسه.

[2]- الموقع نفسه.

[3]- الموقع السابق، المقال: الدورة الحضارية عند مالك بن نبي

[4]- الموقع نفسه.

وبين مشاكل مجتمع في قمة حضارته ولعل من اعظم ملامح زيغنا ونكبنا عن طريق التاريخ، أننا نجهل النطفة التي منها نبدأ تاريخنا، مما جعلنا نراوح المكان، بين أن يحتمي بالتاريخ أو نظفر إلى الإمام ظفرة عمياء في حركتنا نحو الغرب [1] فهذا يؤكد (ابن نبي) أنه (لا يجوز لأحد أن يضع الحلول والمناهج مغفلا مكان أمته ومركزها، بل يجب عليه أن تنسجم أفكاره، وعواطفه وأقواله، وخطواته مع تقتضيه المرحلة التي فيها أمته أما أن يستورد حلولا من الشرق أو الغرب. فإن ذلك تضييعا للجهد ومضاعفة للداء، إذ كل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار [2] غير أن هذا لا يدفع إلى الانعزال عن بقية الإنسانية والتعلم من تجارب التي يتم انجازها، وبخاصة في عالم تشهد انحسار الحدود، وتقرب المسافات بين الشعوب والأمم والحضارات مما يدفعنا إلى تحديد مكاننا من منطلق واقع اجتماعي معيشي.

فمن هذه الرؤية الواقعية ينطلق (**ابن نبي**) باعتبار أن العالم يتجه نحو التوحد ولا يمكن للعالم الإسلامي ان يعيش في عزلة... وعلى الرغم من ان حلول العالم الإسلامي لا تأتي من خارج حدوده فإنه مطالب أن يتعلم من التجارب الإنسانية، ومنها التجربة الغربية التي شهدت انجازات كبرى كما شهدت إخفاقات كبرى في جوانب أخرى تتصل من قريب او من بعيد بالمشكلة الإسلامية في بعض جوانبها.

2-الحاجة غلى معرفة الغرب:

يقول (ابن نبي) وهو يتحدث عن صلة الغرب بالمشكلة الحضارية في العالم الإسلامي: (ولا سك أن هذا الإشعاع العالمي الشامل الذي تتمتع به ثقافة الغرب، هو الذي يجعل من

---

[1]- الموقع نفسه.

[2]- الموقع نفسه.

ضوضاهه الحالية مشكلة عالمية ينبغي أن نحللها او نتفهمها في صلاتها بالمشكلة الإنسانية عامة، وبالتالي بالمشكلة الإسلامية [1]

وهذا لا يجعل العالم الإسلامي تابعا في حلوله للغرب وإنما يتطلب منه أن يعرف التجارب حتى يتحقق من مدى نسبيتها ومدى قابليتها للنقل والإستفادة، فإذا ما أدرك العالم الإسلامي أن صدق الظواهر الأروبية مسألة نسبية، فسيكون من السهل عليه أن يعرف أوجه النقص فيها كما سيعرف عظمتها الحقيقية، وبهذا تصبح الصلات من العالم الغربي أكثر خصوبة، ويسمح ذلك للنخبة المسلمة أن تمتلك نموذجها الخاص تنسج عليه فكرها ونشاطها، فالأمر يتعلق بكيفية تنظيم العلاقة وعدم الوقوع في الاضطراب كلما تعلق الأمر بالغرب.

فالعالم الإسلامي منذ بداية الجهود التجديدية الحديثة يضطرب، كلما تعلق الأمر بالغربن غير أن هذا الأخير لم يعد له ما كان يتمتع به من تأثير ساحر، وجاذبية ظفر بها على عهد أتاتورك... فالعالم الغربي صار حافلا بالفوضى، ولا يجد فيه المسلم الباحث عن (النظام) نموذجا يحتذ به، بقدر ما يجد فيه نتائج تجربة هائلة ذات قيمة لا تقدر على الرغم مما تحتوي من أخطاء، بل بسبب ما بها من أخطاء [2]

فالغرب تجربة تعد درسا خطير لفهم مصائر الشعوب والحضارات فهي تجربة مفيدة لبناء الفكر الإسلامي، وتحقيق الوعي ألسنني، الذي ينسجم مع البعد الكوني لحركة التاريخ، ذلك البعد الذي يسع على حركة انتقال الحضارة قانونا أزليا أشار إليه القرآن في الآية السابقة الذكر [3] فالتأمل في هذه التجربة التي صادفت اعظم ما تصادفه عبقرية الإنسان

---

[1]- الموقع السابق، المقال بعنوان الدورة الحضارية عند مالك بن نبي.

[2]- الموقع نفسه.

[3]- الموقع نفسه.

من نجاح، وأخطر ما باءت به من إخفاق وإدراك الأحداث من الوجهتين كليهما، ضرورة ملحة للعالم الإسلامي في قفته الحالية وإذ هو يحاول أن يفهم مشكلاته فهما واقعيا وأن تقوم أسباب نهضته كما يقوم أسباب فوضاه تقويميا موضوعيا [1] وحتى هذه العلاقات، ويستفاد من هذه التجربة البشرية، ويدرك مغزى التاريخ، لا بد من فهم هذا الغرب في عمقه، وتحديد خصائصه، ومعرفة ما يتميز به من إيجابيات وسلبيات، لا تكون معرفتنا به سطحيا مستترة، أفكارنا عنه عامة وغير نابعة من إطلاع متأمل، وبالتالي يكون وعينا به مشوها أو جزئيا، ولهذا ينتقد (**ابن نبي**) الطلبة والباحثين المسلمين في صلتهم بأوربا بأنها صلة تجارية أو وظيفية بدل أن تكون صلة تأمل وإدراك لسر حركة التاريخ في أوربا... ويقول: (نرى أن طالب المسلم لم يجاب حياة أروبا بل اكتفى بقراءتها، اي أنه تعلمها دون ان يتذوقها فغذا غضفنا إلى ذلك أنه ما زال يجهل تاريخ حضارتها أدركنا أنه لن يستطيع أن يعرف كيف تكونت وكيف انها في طريق التحليل والزوال كما اشتملت عليه من ألوان التناقص وضروب التعارض مع القوانين الإنسانية [2]

وإذا كان القرن العشرين قد تميز –كما أسلفن- بتقريب المسافات واتجاه البشرية نحو التواجد في مصيرها، وفي علاقاتها، فإن المثقف المسلم نفسه ملزم بأن ينظر إلى الأشياء من زاويتها الإنسانية الرحبة ويرتقي إلى إيطار الحضور العالمي وعيا وانجازا، حتى يدرك دوره الخاص ودوره ثقافته في هذا الإيطار العالمي ([3]) وإذ لا يمكن أن نطرح مشكلاتنا في زمن العالمية ، دون أن نأخذ في الاعتبار كل معطيات السياسة والجغرافية ([4])

---

[1]- الموقع نفسه.

[2]- الموقع السابق، المقال بعنوان الدورة الحضارية عند مالك بن نبي .

[3]- الموقع نفسه.

[4]- الموقع نفسه.

وتحديد الصلة بالغرب وبغيره من الكيانات الحضارية، يعطيه تحديدين في انجاز مشروعنا التجديدي:

التجديد الأول: هو تحديد السبلية، من خلال تحديد ما يمكن أن نسهم به في ترشيد الحضارة الإنسانية وهدايتها.

وهذا في حد ذاته ينضج ثقافتها ويعطيها توجها عالميا، فمن المفيد قطعا أن ننظر إلى مشكلة الثقافة من زاوية عالمية... فإذا ما أدرك المثقف العربي المسلم ([1]) مشكلة الثقافة من هذه الزاوية فسوف يمكنه أن يدرك حقيقة الدور الذي يناط به في حضارة قرن العشرين ([2]) ولهذا نجد (ابن نبي) يؤكد أن هناك وحدة في مشكلة كما نجده يؤكد على فكرة وحدة التاريخ الإنساني في قرن العشرين بقوله فوحدة التاريخ تتأكد في قرن العشرين بطريقة لا تدع مجالا لفكرة، الوحدات التاريخية المستقلة التي تفهم فيها كل وحدة في حدودها فلقد دخلت الإنسانية مرحلة لم يعد ممكنا فيها تحديد مجال الدراسة الخاص على طريق (توينبي) ولعله للمرة الأولى ينبغي على التاريخ أن يضع مشكلته وضعا منهجيا في المصطلحات الميتافيزيقية ([3])

كما يولي (ابن نبي) رحمه الله عناية خاصة باهمية الرؤية المتوازنة للأشياء ولذلك نجده ينتقد موقف المثقفين المسلمين من الغرب، الذين يتحدون مواقفهم بشكل جدي مطبوع بطابع ثقافة (ما بعد الموحدين) التي ترى أن الشيء إما طاهر مقدس وإما دنس حقير،

---

[1] - الموقع نفسه.

[2] - الموقع نفسه.

[3] - الموقع السابق، المقال بعنوان الدورة الحضارية عند مالك بن نبي.

ويرى ان عدد كبير من المسلمين، لم يرحل في طلب العلم بالغرب، ودراسته في جوهره، فالحركة الحديثة ([1]) لا تعدوا على هذا المستوى يتخبط فيه مجتمع فقد توازنه التقليدي، إذ هي مكونة في جوهرها من عناصر الأخرى التي التقطتها اتفاقا الشبيبة الجامعية، التي نشأت في طبقة متوسطة، وأقامت في أوروبا إقامة قصيرة لم يهدف من خلاله غلى معرفة الحضارة الغربية ([2]) ومن ثم وجدنا المسلم يحكم على النظام الأوربي الذي يحبط به أو الذي يستشعر وجوده في مطالعاته المبتورة فأفكاره عن حضارة الأوربية تصدر عن ذلك الحكم المبشر، وعن ذلك تلك العلاقة سطحية الوظيفية او التجارية، بينه وبينها وهذا مرض متجدر في ذاتها منذ قرون مضت، حينما صار الفكر الإسلامي عاجزا عن إدراك حقيقة الظواهر، فلم يعد ير منها سوى قشرتها، وأصبح عاجزا عن فهم القرآن فاكتفى باستظهاره حيى إذ انهالت منتجات الحضارة الإسلامية الأوربية على بلاده اكتفى بمعرفة فائدتها إجمالا، دون ان يفكر في نقدها وتفهمها، وغاب عن وعيه أنه إذا كانت الأشياء قابلة للاستعمال فإن إذا كانت الأشياء قابلة للاستعمال فغن قيم هذه الأشياء قابلة للمناقشة ([3]) ومن ثم وجدنا أنفسنا لا نكترث بمعرفة كيف تم إبداع الأشياء بل نقتنع بمعرفة طرق الحصول عليها فاستحكم فينا ذهان السهول، وهكذا كانت المرحلة الأولى من

---

[1]- الموقع نفسه.

[2]- الموقع نفسه.

[3]- الموقع نفسه.

مراحل التجديد العالم الإسلامي، مرحلة تقتنيه إشكالا دون أن نعلم بروحها ([1]) فأدى هذا الوضع إلى تطور في الكم، زاد في كمية الحاجات دون ان يعمل على زيادة وسائل تحقيقها، فانتشرت الغرام بكل ما هو مستحدث ([2]) وكان الأولى التفريق بين عمق الحضارة ومظاهرها السطحية.

[1]- الموقع السابق.
[2]- الموقع نفسه.

البعث الحضاري عند مالك بن نبي:

إنَّ المشكلةَ الأمَّ في حياة الإنسان والأمَّة عندَ "مالك بن نبي" هي مشكلةُ الحضارة، و"إنَّ مشكلة كلِّ شعْب هي في جوهرها مشكلةُ حضارته"[1]، وشروط حلِّ هذه المشكلة هو الارْتقاء بالفِكر إلى درجةِ الوقائع الإنسانيَّة ذات الطابع العالَمي؛ للإلمام بشروطِ النهضة والتحضُّر، وأسباب التخلُّفِ والانهيار، "ولا يُمكن لشعبٍ أن يفهمَ أو يحلَّ مشكلته ما لم يرتفعْ بفكره إلى الأحداث الإنسانيَّة، وما لم يتعمَّق في فَهم العوامل التي تَبني الحضارة أو تهدمها"2.

إنَّها العظَمة حينما يدخُل شعب التاريخ، ويُؤذن له بفجرٍ جديد من الارتقاء في سبيلِ المدنيَّة، يُبعث ليشكلَ حضارة في سلسلة الحضارات، "وما أهولَها من ساعة حينما تُعلن غروبَ أخرى!" 3، وحضارة أيِّ شعب تمثِّل حلقةً في سلسلة الحضارات، تجسِّد جهودَ وأعمال الشعوب باعتبارها أجيالاً متعاقبة متَّصلة فيما بينها في سبيلِ الرُّقي والتقدُّم، فما شروطُ هذا الرُّقي وهذا التقدُّم؟

إنَّ السؤال المطروح يرتبط أصلاً بالتجديد الحضاري؛ لأنَّ أي رُقي أو تقدُّم لأي شعْبٍ ما لم يعرفِ الحضارة، أو متحضِّر خرَج من الحضارة - لا يَجري خارج

---

[1]- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص23.

[2]- المرجع السابق ، ص23.

[3]- المرجع السابق ، ص23.

التجديد الحضاري، الذي يكون قبلَ الحضارة أو خلالها وبعدَها، فهو يعني التغيير الذي يَطرأ على الإنسان الذي لم يعرِف الحضارة، فيلهمه الشروطَ الكافية لبناءِ الحضارة.

هذه الشروط ضروريَّة لميلاد أيِّ حضارة، كما يَعني سائر التغيرات والتطوُّرات التي تَجري في مجتمع متحضِّر غايتُها ترقية الحضارة، والمحافَظة على استمرارها بتجنيبها الفسادَ والزوال، وما دام الفسادُ يتسرَّب إلى المجتمع وإلى حضارتِه فيقوم التجديد الحضاري بإصلاحِ الأوضاع لا لردِّ المعطيات إلى نِصابها فحسبُ؛ بل تشخيص الفساد وأسبابه، وتحديد المبادئ والغايات، والسُّبل والوسائل المناسِبة والمتاحَة لإزالة الفساد وتجاوزه، ونجِد الكثيرَ مِن الشعوب التي لا تزال تعيش على ما ترَكه أسلافها، ومهمَّة التجديد الحضاري لا تنحصِر في البحْث عنِ التجديد والسعي وراءَه، بل في إحياء القديم وبعْثه وتكييفه مع المستجدَّات، فالتجديدُ الحضاري بمعانيه المحدَّدة سابقًا يمثِّل جوهرَ الحضارة ومحرِّكها، وجوهرَ التاريخ ومحرِّكه.

فالتساؤل يطرَح حولَ التجديد الحضاري مِن حيث شروطُه، هذه الشروط متعدِّدة لكنَّها تتماسَك في وحدةٍ عضوية بفِعل المجهودِ الإنساني، هذا التماسُك يُفضي إلى معطيات جديدة في الفِكر والمجتمع والحياة عامَّة، فتُشرق شمسُ النهضة الحضاريَّة بنورها – ميلاد حضارة – ويَعيش الإنسان المدنيَّة، هذه المدنيَّة تبقَى في حاجةٍ دائمة إلى تطوير، وتجديد مُعطياتها وأوضاعها بما ينسجِم مع "سنن الآفاق والأنفُس والهداية؛ مِن

أجْلِ الرقي المعرفي والرُّوحي والسلوكي والعُمراني في عالَم الشهادة"1، والتجديد يُصبِح ضرورِيًّا لميلادِ الحضارة، وضروريًّا لتطويرِ مغزاها وارتقائها، وشروط هذه العمليَّة خاصَّة ومرتبطة بشروطِ البناء، ونفْس الشيء بالنِّسبة للإصلاح والإحياء والبعْث.

بالنِّسبة لشروط التجديدِ الحضاري أو البِناء الحضاري محدَّدة في سائرِ كتابات "مالك بن نبي"، خاصَّة في كتابه "شروط النهضة" نذكُرها، وهي خمسة: العناصر الأوليَّة ويُسمِّيها "مالك بن نبي": "العدَّة الدائمة"، العامِل الرُّوحي، التغيير، البِناء لا التكدُّس، والتوجيه، أمَّا شروط الارْتقاء داخلَ الحَضارة، وإصلاح المجتمَع المتحضِّر وإحياء الحضارة - كلُّ هذا يَشترط الشروط الخمسة كما يَقتضي عواملَ أخرى، كلٌّ حسبَ طبيعته والظروف المحيطة به، والشروط الخمسة نتناولها كما يلي:

العناصر الأولية:

الثَّروة الأوليَّة لإنسان يرغَب في شقِّ طريقه نحوَ النهضة والحضارة والمدنيَّة، وهي ما يُعرَف عند "مالك بن نبي" (بالعُدَّة الدائمة)، تتكوَّن هذه الثروة الإنسانيَّة مِن الإنسان والتراب والوقت، "وهكذا لا يُتاح لحضارةٍ في بدئها رأسمال، إلاَّ ذلك الرجلُ البسيط الذي تحرَّك، والترابُ الذي يمدُّه بِقُوتِه الزهيدِ حتى يصلَ إلى هدفه، والوقتُ اللازم

---

[1]- الطيب برغوث،موقع المسألة الثقافية من استراتجية التجديد الحضاري عند بن مالك بنبي ، ص10.

لوصوله"1، والعُدَّة الدائمة ميراث الإنسان والتاريخ والمجتمعات، ليستْ حكرًا على أحد، وهي ليستْ مِن منجزات أو منتجات الحضارة، بل الحضارةُ تتكوَّن وتتركَّب منها، فالقُصور والدُّور ووسائل النَّقل والاتِّصال المتطورة هي منجزاتُ الحضارة، لا مِن العناصر الأوليَّة.

إذ كان الإنسان غيرَ قادر على التخلِّي عن طبيعته الاجتماعيَّة والمدنيَّة، فهو لا يُمكن أن يُفرِّط في العناصر الثلاثة، التي تمثِّل رأسماله الأوليَّ لتحقيق وجودِه الاجتماعي والمدني، وإنْ كان قادرًا على الاستغناءِ عن منتجات الحضارَة ومنجزاتها مؤقتًا.

إنَّ الشعوبَ التي شاركت في الحرْب العالمية الثانية قوَّمت خسارتها في الحرب ليس بالذهب، بل بساعاتِ العمل؛ "أي بقيم مِن الوقت ومِن الجهود البشريَّة ومِن منتجات التراب، تلك هي القِيم الخالِدة التي نجِدها كلما وجَب علينا العودةُ إلى بساطة الأشياء؛ أي: في الواقِع كلَّما تحرَّك رجلُ الفطرة وتحرَّكت معه حضارةٌ في التاريخ"2.

فالحضارة بسائرِ منجزاتها ومنتجاتها الفِكريَّة والماديَّة تُرد في أصلها إلى "العُدة الدائِمة"، وأيُّ منتوج حضاري هو حصيلةُ تآلُف بين العناصر الأوليَّة الثلاثة، فالمصباح الذي نستعمله في الإنارةِ هو منتوج حضاري، أنجزتْه جملةٌ مِن الأفكار تطوَّرت مع

---

[1]- مالك بن نبي، شروط النهضة ، ص89.

[2]- المرجع السابق ، ص90.

الزمن عند الإنسان، الذي يمثّل العنصر الأوّل الذي يدخُل في إطار التدخُّل البشَري الفِكري واليدوي، ابتداءً مِن أوّل إنسان فَكّر في المصباح وصنَعه، إلى "إديسون" مخترِع المصباح الكهربائي، أمّا التراب فهو العُنصر الثاني، فيمثّل المادةَ الأوليَّة التي تقوم بمهمتَي الوصل أو العزْل، والزّمن هو الذي تَجري فيه عمليةُ الإنجاز والبِناء لأيِّ ناتج حضاري.

فالعناصر الأوليَّة الثلاثة - الإنسان، التراب، والوقت - كلٌّ منها يمثّل نوعًا يتحدَّد بماهيته؛ أي: بجملة الصِّفات الجوهريَّة المشتركة بيْن مجموعةٍ مِن الكائنات، فالإنسان نوع يتحدَّد بوجوده النفساني العاقِل الاجتماعي الرُّوحي، والأمْر هنا يشمل كافةَ أفراد الإنسان، والتراب نوعٌ يمثّل مادةً أوليَّة حالَّة في الطبيعة تُوظَّف في بناء الحضارة.

أمّا الوقتُ، فهو نوعٌ يمثّل أيَّ زمن تَجري فيه الأحداثُ الإنسانية، ويتحرَّك فيه المجتمع داخلَ التاريخ، وتتكوَّن في مجاله الحضارة، "فمالك بن نبي" قد انتهى مِن ترتيب المعادلات في تكوينِ المنتجات الحضاريَّة إلى "مجموعة منتجات حضاريَّة = مجموعة إنسان + مجموعة تراب + مجموعة وقت، ولكن جمع منتوجات حضاريَّة هو الحضارة نفْسها في صورةٍ غير مركَّبة، وجمع إنسان هو الإنسان نوعًا، وجمع تراب هو التراب

نوعًا، وجمع الوقت هو الوقت نوعًا"1، كما يؤكّد في تحليله لمشكلة الحضارة ولاعتبارات اجتماعيَّة أنَّ حلَّها يستوجب "حلَّ ثلاثة مشكلات جزئيَّة:

1- مشكلة الإنسان وتحديد الشروط لانسجامه مع سير التاريخ.

2- مشكلة التراب وشروط استغلاله في العمليَّة الاجتماعيَّة.

3- مشكلة الوقت وبثّ معناه في رُوح المجتمع ونفسيَّة الفرْد"2.

الفكرة الدِّينيَّة:

إذا كان الفردُ في حاجة إلى الجماعة لتستقيمَ حياته، والاجتماع الإنساني في حاجة إلى الأفراد ليضمن قيامَه وسيره إلى الأمام، فهو في أمسِّ الحاجة إلى النِّظام ليحقّق وجودَه واستمراره، وهذا الاجتماع يظهر في صورةِ مجتمع يبقَى في حاجةٍ كبيرة إلى عقيدة موحدة تُنشئ العَلاقات والقيم الأخلاقيَّة، وتبث في أفرادِ المجتمع الشعور المشترَك بحاجة الأفراد إلى بعضِهم البعض، وبوجودِ رِسالة ووظيفة في مستوى الفرْد وفي مستوى الجماعة وفي مستوى الأمَّة، وبوجودِ مبادئ وغايات لا تضمن وجودها إلاَّ بالوسائل والسُّبل المناسبة، فتكون هذه العقيدة الموحَّدة هي الدافع إلى النهوض بالرِّسالة والوظيفة داخلَ المجتمع، فيبدأ التاريخ وتَنطلق الحَضارة، فالتاريخ يَصنعه الإنسان، والحَضارة

---

[1]- مالك بن نبي، تأملات ص197 - 198

[2]- المرجع السابق ، ص199.

إنتاج إنساني في التاريخ، وهذا الصنع وهذا الإنتاج من فعل الإنسان بدافع من الفكرة الدِّينيَّة.

فالعقيدة تُغذي الرُّوح مثلما يتغذَّى الجسم من الأشربة والأطعمة، والحضارة في طَورها الأوَّل تشترط عوامل رُوحيَّة دينيَّة تكون وراءَ كلِّ تجديد في النَّهضة الحضاريَّة، وهو الأمْر في الحضارة الإسلاميَّة والحضارة المسيحيَّة والحضارة البوذيَّة وغيرها، تعلَّق المسلمون الأوائل بالإسلام وبالفكرة الدِّينيَّة وكانوا في جاهلية تعلقًا - وهو تعلُّق له أسبابٌ ودوافعُ - لم يسمحْ لتقاليد وأحكام وأفعال الجاهليَّة المردودة مثل وأد البنات، والزِّنا، والوثنيَّة، والعصبيَّة بأن تقف في وجه الفَناء الرُّوحي في تعاليم القرآن وسُنة الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - وبذلك بزغتْ شمس الحضارة وسطَع نور النهضة في صحراءِ العرَب القاحلة، وعند رجُل الفطرة الذي لا يعرِف سوى الحلِّ والترْحال بحثًا عن الكلأ لعياله وأنعامه.

يرَى "مالك بن نبي" أنَّ الحضارة ليستْ وليدةَ الجغرافيا والمناخ في صورةِ التحدي والاستجابة، ولا العامل الاقتصادي، بل تصنعها فكرةٌ دينيَّة ومبدأ أخلاقي من خلال التأليف والتوحيد بيْن عناصرها الثلاثة: الإنسان التراب والوقت، فتشكل الفكرة الدِّينيَّة المركَّب في كلِّ تجديد حضاري أو نَهضة حضاريَّة، فهي "تتدخَّل إمَّا بطريقة مباشرة، وإمَّا بواسطة بديلاتها اللادينيَّة نفسها في التركيبة المتآلفة لحضارةٍ ما وفي تشكيل

إرادتها"1، وإذا كانَ للحضارة عمرٌ كعمر الطفل، فإنَّ المهد الذي تولَد فيه هو الفِكرة الدينيَّة.

الحضارة حسب "مالك بن نبي" تشهد ثلاثةَ أطوار: طور النهضة والميلاد، وطور الازدهار والأوج، وطور الفساد والأفول، أمَّا الطور الأول، فهو رُوحي تنتظم وتنضبط فيه الغرائزُ تحتَ سلطان الرُّوح بتوجيهٍ مِن الفِكرة الدِّينيَّة، ويتطوَّر المجتمع الذي أنجبتْه الفكرة الدينيَّة في المرحلة الثانية بفِعل اكتمال روابطِه الاجتماعيَّة، وبمدَى انتشار الفِكرة الدينيَّة في العالَم، فتبرز المشاكلُ وتكثُر المطالب، وتكون النتيجة التالية: فإمَّا أن يكونَ هناك تطابُق "مع النهضة كما نراها بالنِّسبة إلى الدورة الأوربيَّة، وإمَّا أن يتطابق مع استيلاءِ الأُمويِّين على الحُكم كما هو شأن الدورة الإسلاميَّة"2 وفي الحالتين تكون السلطةُ في يدِ العقل الذي لا يملك سلطةَ النفوذ على الغرائزِ التي تسترجع نفوذَها بفقدان الرُّوح لنفوذها عليها، فتظهر بوادرُ الانهيار والأفول.

فتأثير الفِكرة الدِّينيَّة في الرُّوح الفرديَّة والرُّوح الاجتماعيَّة هو الذي يُحدِث الدوافع والأسباب في رُوح الفرْد والمجتمع إلى النهوض، ويكون هذا الحال وراءَ كلِّ تجديد حضاري، وخَلْق كلِّ حضارة، وأساس حرَكة الإنسان في التاريخ.

---

[1]- مالك بن نبي آفاق جزائرية، ص83.

[2]- مالك بن نبي شروط النهضة ، ص103.

التغيير:

إنَّ التغيرَ الذي يعرِفه التاريخ ويمسُّ حياةَ الفرد والمجتمع والأمَّة هو جوهرُ ولبُّ عملية التجديد الحضاري، قبلَ الحضارة وخلالها وبعدها، وكما يكون التغيير شرطًا لازمًا لبناء الحضارة، فهو شرْطُ كلِّ تطور حضاري، وشرْط كلِّ عملية إصلاح أو بَعْث وإحياء، وكما يكون التغيير شرْطَ البناء الحضاري، فقدْ يشرف على هدْمِ هذا البناء وإزالته، و"مالك بن نبي" يضَع التغييرَ كفاعلية إنسانية فرديَّة واجتماعيَّة وأمميَّة وراءَ كلِّ نهضة، ومبدأ التغيير عندَه يمثِّل قاعدةً ذهبية أكَّد عليها القرآن الكريم في قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: 11].

تناول "مالك بن نبي" مبدأ التغيير كقاعدةٍ عامَّة في كلِّ حركة تاريخيَّة حضاريَّة، فهو يلازم كلَّ عملية مِن شأنها أن تجدِّد أو تطوِّر أو تصنع التقدُّم والإبداع في مختلف مجالات حياةِ الإنسان الفكريَّة والاجتماعيَّة والماديَّة، كما تناوله كمشكلة مطروحة أمامَ العالَم الإسلامي الذي يُعاني الجُمود والركود والتخلُّف، وحلُّ هذه المشكلة مرهونٌ بتمسك المسلِم بالقاعدةِ المقرَّرة في الآية السابقة، خاصَّة وأنَّ عناصر الحضارة كامنة في جوهر الدِّين، ومهمَّة الدِّين ليستْ في إنشاء الحضارة فقط، بل تأثيرها يتواصَل متجاوزًا حدود الزَّمان والمكان، وعُدَّة الحَضارة الخالِدة هو الإنسان الذي يتحرَّك في الحضارة بدافِع الرُّوح الدِّيني، فينتج الأفكارَ والأشياء؛ أي ينتج الحضارة ويحرِص على تطويرها وحمايتها مِن الفساد والإفلاس والزَّوال.

إنَّ عمليةَ إنتاج الأفكار والقِيَم والأشياء بفعل التجديد الحضاري تكون بدافعِ الفِكرة الدينيَّة، هذه العمليَّة تتضمن تغييرًا يَحدُث في رُوح الفرد ورُوح المجتمع ورُوح الأمة، وعامل التغيير يبدأ في داخلِ نفْس الفرد، ولا يتغيَّر شيءٌ في الخارج إن لم يغيِّر الفرد نفْسه، "فهذه الحقيقة علميَّة يجب أن نتصوَّرها كقانونٍ إنساني وضَعه الله – عزَّ وجلَّ – في القرآنِ كسُنة من سُنن الله التي تَسير عليها حياةُ البشَر"[1]، ولا يحصُل التغيير في محيطِ الفرْد ما لم يحصُل في نفسه أولاً، وتغيير النفْس هو الأساس لكلِّ تغيير هادف رشيد، فالاستعمار لم يستطعْ فِعل شيء أمامَ فرد ذي نفس تحرَّرت من المذلة بفِعل تغيير نفْسي مكَّنها من القيام بوظيفتها الاجتماعيَّة.

فالتغيير ضرورةٌ لا بدَّ منها؛ لكي يحقِّق الإنسانُ وجودَه في التاريخ، ويقوم بوظيفتِه الاجتماعيَّة التاريخيَّة، والتغيير يبدأ من داخل نفْس الفرْد، ثم يشق طريقَه خارج الفرْد في المجتمع والأمَّة والإنسانيَّة جمعاء، هذا المبدأ لا يؤكِّد تاريخ النهضات والحَضارات بمفرده، بل يمثل مبدأً قرآنيًّا ثابتًا، وسنَّة من السنن الكونية وضعَها الله لتَهدي حياة العباد، كما يمثِّل هذا حقيقةً علميةً، فالفرد "لا يمكنه أن يغيِّر شيئًا في الخارج إنْ لم يغيِّر شيئًا في نفْسه، وحينما نقول هذه الكلمة نقولها باعتبارها علمًا، ولا

[1] – مالك بن نبي، دور المسلم في الثلث الأخير من القرن 20، ص58.

نقولها فقط تبركًا بآية، نقولها علمًا ونعلم مقدارها من الصحَّة العلميَّة"1، وبالتالي يظلُّ التغيير فاعليةً إنسانيَّة ضروريَّة للتجديدِ الحضاري عندَ إنسان تحرَّك في التاريخ ليحقِّق وجوده، عندَ إنسان صارتْ إرادته قويَّة ورغبَته كبيرة في الارتقاء الحضاري، عندَ إنسان يُعاني الفسادَ فتحرَّك لإصلاح أوضاعه، عندَ كل مَن شقَّ طريقه نحوَ البعث والإحياء وإعادة البناء، وهجران الجمود والتخلُّف والانحطاط.

البناء لا التكديس:

يَعتمد "مالك بن نبي" في تحديدِ شروط النهضة والتجديد على شواهدَ تاريخيَّة، كما يستقرِئ الواقِع؛ واقِع الأُمم المتحضِّرة، وظروفَ الشعوب المتخلِّفة، ويُرجِع مشكلات الإنسان جميعًا إلى مشكلة الحضارة، "فالقضية إذًا ليستْ قضية فقْر، وإنَّما هي أمر يتعلَّق بأساس مشكلاتنا، فعلينا أن نُفكِّر في جذور المشكلات، وندرك أنَّ القضية قضيةُ حضارة، وما الفقرُ والغِنى، ولا الجهل ولا المرض، إلاَّ أعراضٌ لتلك المشكلة الأساسيَّة"2.

---

[1]- المرجع السابق ، ص57.

[2]- مالك بن نبي، تأملات ، ص166.

تَشترط الحضارةُ العاملَ الرُّوحي - الفِكرة الدينية - الذي يدفَع الإنسانَ ليتحرَّك في التاريخ ويغيِّره، ويركّب بين عناصر "العدة الدائمة"، كما يتطلَّب التغيير في كلّ مرحلة من مراحل التحضر وفي كلِّ طَور من أطوار التجديد، فتَقتضي الحضارةُ تجنُّبَ الاتكال على الغير، وتحاشي أسلوب الاستيراد والتكديس، فلا يتحضَّر شعب إلاَّ إذا امتلك وعيًا حضاريًّا يميِّز بيْن البناء والتكديس، وبيْن الإنتاج والاستيراد، "فالبناء وحْدَه هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس، ولنا في أُمم معاصرة أُسوةٌ حسنة، إنَّ علينا أن نُدرِك بأنَّ تكديسَ منتجات الحضارة الغربية لا يأتي بالحضارة"[1].

إنَّ عملية إنشاء الحضارة لا تتمُّ بشراء كلِّ منتجاتها وتكديسها؛ لأنَّ ذلك مستحيل مِن حيث الكمُّ والكيف معًا، فالحضارة لا تَبيع كل منتجاتها مرةً واحدة، فهي لها رُوح وأفكار وأذواق خاصَّة بها تبقَى لها، "وفي استخدامِنا للمصطلحات البيولوجيَّة نجد أنَّ الحضارةَ مجموعةٌ من العلائق بيْن المجال الحيوي "البيولوجي"، حيث ينشأ ويتقوَّى هيكلها، وبيْن المجال الفِكري، حيث تنمو وتولد رُوحها، فعندما نَشتري منتجاتها فإنَّها تمنحنا هيكلَها وجسدَها لا رُوحها"[2]، وتَعجز الأمَّة المستوردة عن شراء كلِّ منتجات الحضارة ودفْع ثمنها؛ لأنَّها لا تملك رأسمال ذلك، فالاستحالة هنا تاريخيَّة واجتماعيَّة

---

[1]- المرجع السابق ، ص167.

[2]- مالك بن نبي ، ص2.

اقتصاديَّة، والتسليم بالإمكان يؤدِّي إلى "الحضارة الشيئيَّة"، لكن يوجد فرقٌ شاسِع بين تجرِبة مخطَّطة والحالة الحضاريَّة القائمة على التكديس، هذا ما يجعل البناءَ شرطًا ضروريًّا لقيام أيَّة حضارة على الأرْض، ويُصبح المقياسُ العام في عملية التحضُّر هو "الحضارة هي التي تلِد منتجاتها، وسيكون مِن السخف والسخريَّة حتمًا أن نعكِس هذه القاعدةَ حين نريد أن نصنعَ الحضارة مِن منتجاتها"1.

إنَّ الحضارة عمليةُ بناء، وناتِج حركة أفراد المجتمع، تتطلَّب أسسًا فكرية ومادية في عالَم الأشخاص والأشياء، في إطارِ منهج يحدِّد المبادئَ والغايات، كما يستغلُّ كافةَ الوسائل والسُّبل لأداءِ الوظيفة الاجتماعيَّة، هذه الوظيفة لا تحصُل في غيابِ التوازن الرُّوحي المادي في الفرْد والمجتمع، وفي ارتباط الحضارة بعناصرها الأوليَّة مِن جهة، وبالتغيير من جهة ثانية، وبالبِناء مِن جهة أخرى، تُصبح "مشكلة الحضارة تنحلُّ في ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، ومشكلة الوقت، فلكي نقيمَ بناءً حضاريًّا لا يكون ذلك بأن نكدِّس المنتجات؛ وإنَّما بأن نحلَّ هذه المشكلاتِ الثلاث مِن أساسها"2، ولحلِّ المشكلات الثلاثِ واستغلال شروط البِناء استغلالاً رشيدًا

---

[1]- المرجع السابق ، ص01.

[2]- المرجع السابق ، ص05-66.

يسمح بإنشاء حضارة، فذلك يتطلَّب توجيهًا رشيدًا لعناصر وشروط النهضة وسائرِ إمكانيات وطاقات الفَرْد والمجتمع.

التوجيه:

نَفهم ظاهرةَ التوجيه كشرطٍ ضروري للنهضة والتجديد الحضاري انطلاقًا من أنَّ النهضة مشروطةٌ بالتغيير الذي يقَع على مستوى الفرْد والمجتمع، هذا التغيير الذي يضمن تحرُّكَ التاريخ بفِعل دوافع نفسيَّة واجتماعيَّة، ولا يؤدِّي المجتمع رسالته ويَنهض بواجباته إلا بوجودِ ترابط عُضوي بيْن مكوِّنات شبكة العَلاقات الاجتماعيَّة "إنَّ صناعة التاريخ تتمُّ تبعًا لتأثير طوائفَ اجتماعيَّةٍ ثلاثة:

أ- تأثير عالَم الأشخاص.

ب- تأثير عالَم الأفكار.

ج- تأثير عالَم الأشياء.

لكن هذه العوالِم الثلاثة لا تَعمل متفرِّقة، بل تتوافَق في عملٍ مشترَك تأتي صورتُه طبقًا لنماذجَ أيديولوجيَّة مِن "عالم الأفكار"، يتمُّ تنفيذها بوسائل مِن "عالم الأشياء"؛ مِن أجل غاية يحدِّدها "عالم الأشخاص""[1].

[1]- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع ، ص03-24.

التغيير التاريخي من إنتاج العوالم الثلاثة، ووحدة التغيير التاريخي ضروريَّة، فإنَّ انسجام وَحدة التغيير التاريخي مع الغاية منها ضروري، ذلك يجسِّد الحضارةَ في الواقع، "وهذا الشَّرْط يستلزم كنتيجةٍ منطقيَّة وجود "عالم" رابع، هو مجموعُ العلاقات الاجتماعيَّة الضروريَّة، أو ما يُطلق عليه "شبكة العلاقات الاجتماعيَّة"، وتَنطلق عملية التغيير التاريخي من الفرد؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، ثم تنتقل إلى خارجِ الفرْد، وهي عملية منوطة بتوجيهِ الفرد لا تتركه عُرضةً للتلقائيَّة والصُّدفة والارتجال والفوضى، والتوجيه كعاملٍ حضاري يعني: "قوة في الأساس، وتوافُق في السير، ووحدة في الهدَف"[1]، كما يَعني: "تجنب هذا الإسراف في الجهد والوقت"[2]، فالمشكلة برُمَّتها مشكلةُ فرد يَصنع التاريخ من خلال تأثيره في المجتمع بفِكرِه وعملِه وماله، والتوجيه يكون في هذه النواحي الثلاث: الفِكر والثقافة، العمل ورأس المال.

بالنسبة لتوجيهِ الفِكر والثقافة يتعلَّق الأمرُ بالعناصر الجوهريَّة اللازمة للثقافة، وهي تكوّن المركَّب الاجتماعي للثقافة، وأسلوبها التوجيهي ينحصِر في توجيهِ الأخلاق، وتوجيهِ الجمال، وتوجيهِ المنطق العمَلي، وتوجيه الفنِّ التطبيقي العمَلي، أو الصناعة بلُغة

---

[1]- مالك بن نبي، شروط النهضة ، ص17.

[2]- المرجع السابق ، ص17.

"ابن خلدون"، والعَلاقة العضويَّة بين المبدأ الأخلاقي والذَّوق الجمالي هي التي تحدِّد اتجاهَ الحضارة، والمنطق العملي يمثِّل الأسلوبَ الذي يربط الأعمالَ بوسائلها ومعانيها، ويبعث في العمَل الفعاليَّة؛ لأنَّ كثيرًا من الأفعال تتميَّز باللافعاليَّة، فيذهب الأكبر منها في العبث واللهو، والصناعة أو الفن التطبيقي الذي يحتاج إلى توجيهٍ يتعلق بجميع الفنون والحِرف والقُدُرات والتطبيقات العلميَّة، فالصناعة فنٌّ له قيمة اجتماعيَّة مهما كان متواضعًا وزهيدًا، فحِرفة الرعي زهيدةٌ ومتواضعة جدًّا، بل وضيعة عندَ البعض في المجتمعات المتخلِّفة، فهي "لها مدرسةٌ وطنيَّة في فرنسا بمدينة "رامبولييه" مِن ضواحي باريس، فلو رأيْنا الراعي الخرِّيج مِن هذه المدرسة، والراعي عندما يقود كلٌّ منهما قطيعَه لعلمنا أي الفرق بينهما؟!..."[1].

أمَّا فيما يتعلَّق بتوجيهِ العمل عندَ مرحلة تكوين المجتمع، فهو يعني "سير الجهود الجماعيّة في اتجاهٍ واحد"[2]، كل صاحِب حِرْفة، وفي كل يوم يصنع حُجرة جديدة في البِناء الاجتماعي، "فتوجيه العمل هو تأليفُ كل الجهود لتغيير وضْع الإنسان وخَلق بيئته الجديدة"[3].

---

[1]- المرجع السابق ، ص148.

[2]- المرجع السابق ، ص63.

[3]- المرجع السابق ، ص164.

توجيه العمل يمثّل عاملاً ضروريًا للبناء الاجتماعي وصُنع الحضارة في التاريخ، وفي الوقت نفسه وَسيلة لكسبِ الحياة، و"حين يتّحد توجيهُ الثقافة وتوجيه رأس المال يفتح مجالات جديدة للعمل"[1]، والعمل لدَى الإنسان انبثَق في بدايته الأولى عندَما تحرّكت يدُ الإنسان وشقّتِ الطريق إلى الفِكر، فأعدّت الجوَّ المناسِب لتطوره، و"كلّما تقدّم التوجيهُ المثلّث للإنسان تغيَّر وجهُ الحياة حتمًا، فيكتمل ويحتلُّ مستوى أرفعَ دائمًا"[2].

يحدِّد "مالك بن نبي" رأس المال كأداة اجتماعيَّة لا سياسيَّة كما ذهَب "كارل ماكس"؛ لأنَّ "كارل ماركس" تناوله ضِمن ظروفِ وأوضاع المجتمَع الرأسمالي في عصرِه الذي كان يعرف اضطهاد الطبَقة البرجوازيَّة لطبقة البرولتاريا، أما "مالك بن نبي"، فتناوله ضِمنَ الظروف التي تَعيشها البلادُ الإسلاميَّة في عصرِه، وهو يؤكّد على الفَرق بين الثروة، التي هي ملكٌ خاص لصاحبِه، ليس لها عملٌ مستقل وليستْ قوَّة مالية تدخل في بناء الصناعات والميادين الاقتصاديَّة الأخرى، وبيْن رأس المال، الذي هو قوَّة مالية تدخُل في تغيير وتطوير الاقتصاد، فهو"المال المتحرِّك"، وهو مجرَّد لا يُنسب إلى أحد، فحركته في داخلِ المجتمع وخارجه تحرُّك الأنشطةِ وتوظيف الأيدي والعقول،

---

[1]- المرجع السابق ، ص64.

[2]- المرجع السابق ، ص164.

وتوجيه رأس المال يكون في الكمِّ بحيث يعرف الشمولَ والتوسيع، وفي الكيف بحيث يخلُق الشغلَ باستمرار.

• يؤكّد "مالك بن نبي" في موضوعِ توجيه الثروة الماليَّة بقوله: "فالقضية ليستْ - كما بيَّنا - في تكديس الثروة، ولكن في تحريكِ المال وتنشيطه، بتوجيهِ أموال الأمَّة البسيطة، وذلك بتحويل معناها الاجتماعي مِن أموال كاسِدة إلى رأسِ مال متحرِّك، يُنشِّط الفِكر والعمَل والحياة في البِلاد"[1].

إنَّ توجيهَ الإنسان في النواحي الثلاث لغرَض التجديد الحضاري يرتبِط بتوجيه التراب والوقت، بل يشترط ذلك ليكونَ الفعل الحضاري متكاملاً، فالتراب عنصرٌ مِن عناصر تكوين الحضارة، وقِيمته الاجتماعيَّة تكون على قدْر مالكِيه مِن التقدُّم أو التخلُّف والانحطاط، ففي الجزائر أخذتِ الأراضي الزراعيَّة تَختفي شيئًا فشيئًا بفِعل زحف الرِّمال وغزو الصحراء وسكَّان الأرض، "وقفوا منها موقفَ الجبان والضعيف، لقد فرَّ ساكنُ البادية... فهو الآن تائهٌ حائر بيْن الصحراء التي تبدِّده، وبين المدن الساحليَّة التي ترفضه أو تبتلعُه حيث تجعل منه إنسانًا منبوذًا"[2]، أمَّا في فرنسا، فانطلق

---

[1]- المرجع السابق ، ص72.

[2]- المرجع السابق ، ص200.

الإنسان وقام "بغرْس أشجار في الناحية الجنوبيَّة الغربيَّة من البلاد، حيث كانتْ رمال الشاطئ الأطلنطي والمستنقَعات الضارَّة تهدِّد مصالح أهلها وصحَّتهم"[1].

الزَّمَن هو العامِل الثالث من عوامل الحضارة، يمثِّل ثروة في مجالٍ ما، ويكون عدمًا وفراغًا في مجالٍ آخر، وهو جوهرُ الحياة الذي لا يُقدَّر بثمن، ويرتبط بالتاريخ، ولا يتحدَّد معنى التأثير الإنساني في الإنتاج ولا يتحدَّد معنى الوجودِ الإنساني إلا بتحديد فِكرة الوقت ووعْي قِيمته، والتربية هي الأداةُ الوحيدة التي تغرِس في أفراد المجتمع قيمةَ الوقت وتُثبتها فيهم، "فإذا استُغلَّ الوقت هكذا فلم يضِعْ سُدًى ولم يمرَّ كسولاً في حقلنا، فسترتفع كميةُ حصادن العقلي واليدوي والرُّوحي، وهذه هي الحضارة"[2].

فالتجديدُ في الحضارة من حيث تكوينها، أو تطوُّرها، أو استمرارها، أو إصلاح أوضاعِها - يَقتضي عُدَّةً دائمةً، وتغييرًا يبدأ من داخل الفرْد ثم يتَّجه إلى الخارِج، فيحصُل البِناء من خلالِ توجيه وتخطيط يربط المبدأ بالغاية، ويستغلُّ جميعَ الوسائل والمناهج لخِدمة الإنسان، ولتحقيق أغراضه القريبة والبعيدة.

---

[1]- المرجع السابق ، ص50.

[2]- المرجع السابق ، ص214.

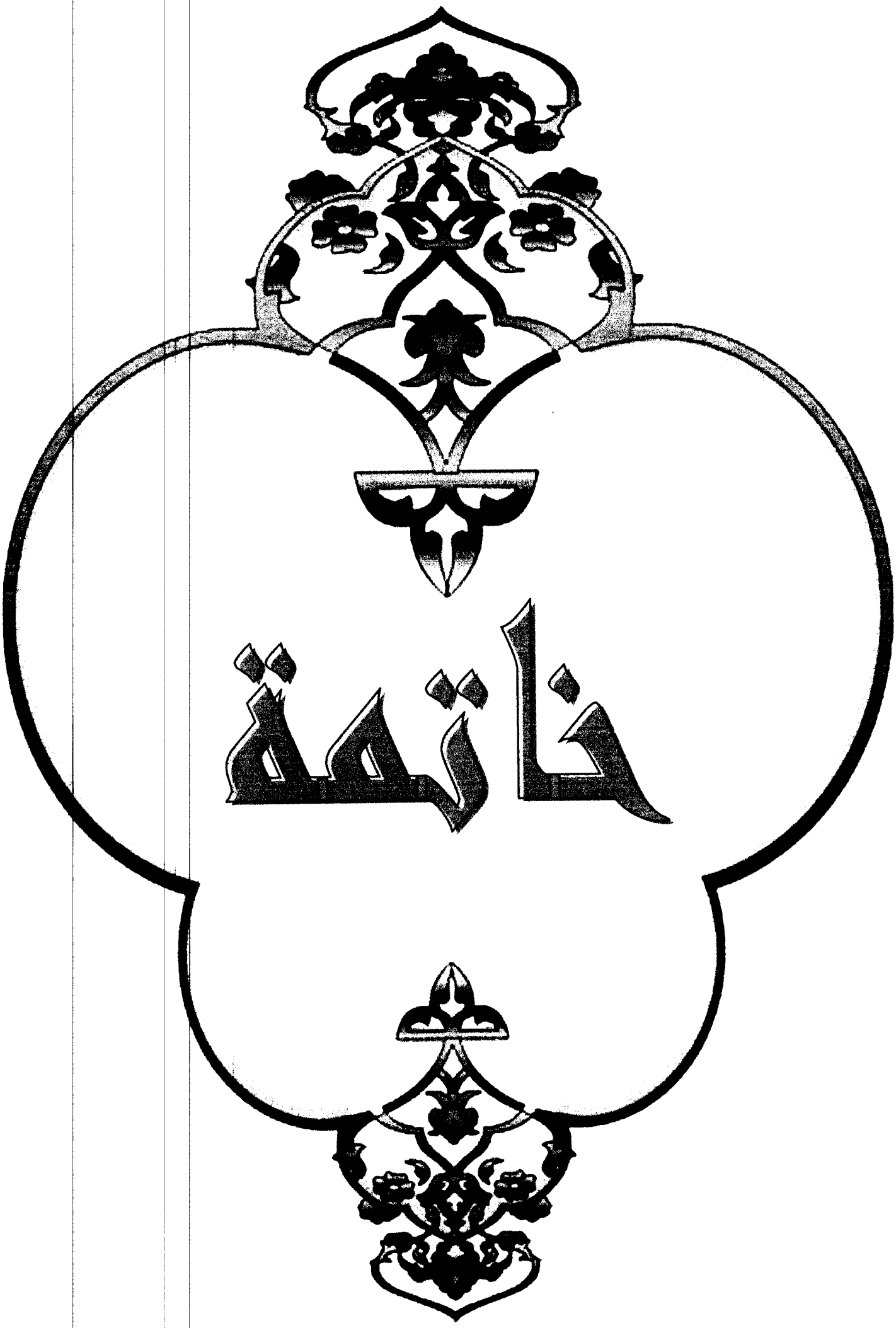
خاتمة

خاتمة

إمتداد للدراسات التحليلية للشخصيات الأدبية حاولنا أن نوظف مبادئها و ذلك من أجل الوصول إلى دور الحضارات في ترقية البشرية و في خلق صور، أما الفكر العربي أو الإسلامي بل و حتى الوقوف على نماذج من الفكر الغربي و بذلك أخذنا في هذا الإطار، مالك بن نبي و خلق علاقة بينه و بين البعث الحضاري فخلصنا إلى أنه حرك عجلة النهضة و هذه النهضة مست كل جوانب الحياة من الجهة الإجتماعية و الإقتصادية و العمرانية و التنموية الشاملة لنضع في الأخير مجتمع مدني على قيم و أسس متينة، إجتمعت عند مالك بن نبي في ثلاث مقومات كبرى هي التراب والزمان و الوقت فإذا تضافرت و استغلت هذه الثلاثية معا و وظفت أحسن توظيف كانت النتيجة التي بنا عليها كل بحثه و أفكاره.

كما تحدث عن مشكلة الحضارة من نواحي ثلاث كما سبقت الإشارة و هذه النواحي هي:

1) من حيث تركيبها : أي من حيث العناصر الأساسية.

2) من حيث وظيفتها.

3) و من الناحية التاريخية و الإجتماعية ، أي كيف نشأت الحضارة

و ترتقي ثم تنحط كما تحدث عن العناصر الأساسية التي تتكون منها الحضارة هي: الإنسان و التراب و الوقت.

و منها تنحل مشكلة الحضارة و كل نتاج حضاري : إنسان+ تراب+ وقت.

و تكلم في نظرياته بأن الحضارة تمد بثلاث مراحل:

مرحلة النهضة و الأوج و الأفول، تحدث النهضة عندما يهبط الوحي

و فيها تبرز الروح لتكبح جماع الغرائز و تخضعها التنظيم.

يجعلها متلائمة مع الفكرة الدينية و بما كانت الغرائز أي ما يطلق عليه (مركب الحضارة).

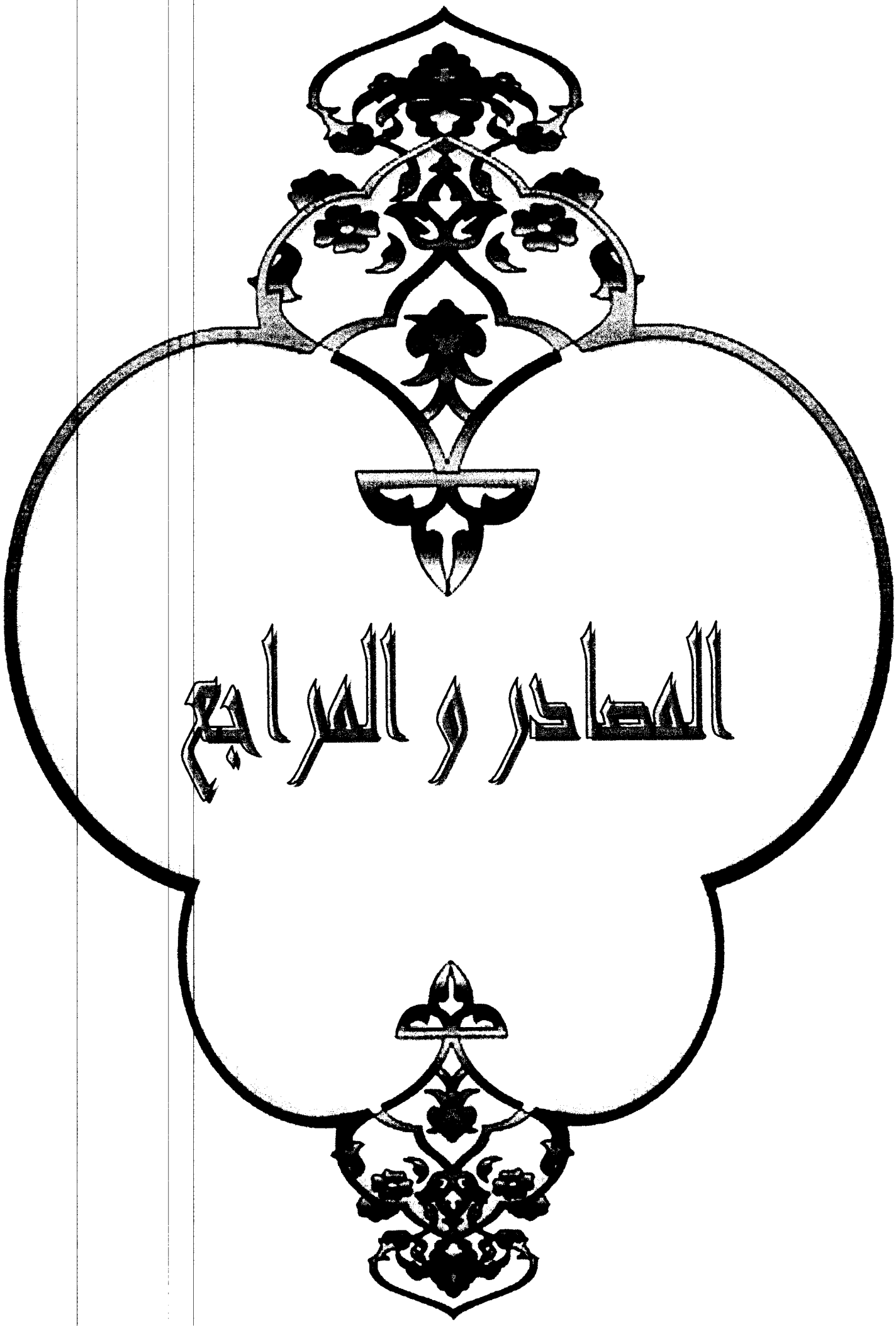
المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

المصادر:

*- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج/3. المطبعة الخيرية ط/1، 1302هـ

المراجع:

*- آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنو لد توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، دت.

*- ارلوند توينبي، مختصر دراسة للتاريخ د ط، د ت ج1،

*- الفيروزبادي ن القاموس المحيط، المطبعة الخيرة ط1ن 1302هـ

بشير قلاني: هكذا تكلم مالك بن نبي نحو منهج رشيد للتغير الاجتماعي والحضاري والبعث الحضاري منشورات مكتبة إقرأ الجزائر، ط1 2007.

*- النجار، مصلح بن عبد الحي، الوافي في الثقافة الإسلامية الرياض: مكتبة الرشد 1427هـ -2006م

*- شلبي أبو زيد، تاج الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي القاهرة مكتبة وهبة ط7 1412هـ، 1996م

*- النجار، مصلح بن عبد الحي، الوافي في الثقافة الإسلامية الرياض: مكتبة الرشد 1427هـ -2006م

*- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ.

*- أوسوالد شبنلغر، تدهور الحضارة الغربية ، ج1 ترجمة أحمد لشيباني دار مكتبة الحياة، بيروت.

*- إبراهيم ملامح علم إجتماع الإسلامي عند مالك بن نبي رسالة مقدمة لنيل شهادة ماج ستار تلمسان سنة 2000.

*- ابن خلدون، المقدمة دار النشر بيروت ط3 سنة 1967.

*- حسين مؤنس الحضارة دراسة في الأصول وعوامل قيامها وتطورها ذكر هذا المرجع من قبل.

*- مالك بن نبي ،ميلاد المجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين ط1 القاهرة 1959 ط2 دار الفكر بيروت 1970.

*- مالك بن نبي شروط النهضة ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين ط1، دار الجهاد القاهرة 1957.

*- موسى لحرش إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي مختبر التربية والجريمة في المجتمع جامعة عنابة الجزائر 2006

*- منح خوري: التاريخ الحضاري عند توينبي.

*- فروبينيوس ليو عالم ألماني بالآثار والأنتربولوجيا بغير حجة في نفس الثقافة ما قبل التاريخ.

*- سليم مسني، البعث الحضاري بروفسور لهندسة الطاقة

*- شلبي أبو زيد، تاج الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي *- فروبينيوس ليو عالم ألماني بالآثار والأنتربولوجيا بغير حجة في نفس الثقافة ما قبل التاريخ.

وهبة ط7 1412هـ، 1996م

المقالات:

*- جريدة الجمهورية عدد خاص مصر.

مواقع الأنترنات:

*- بلال الجراد، إحياء بين durant (دارنتا) ومالك بن نبي، www.wikipédia.org.

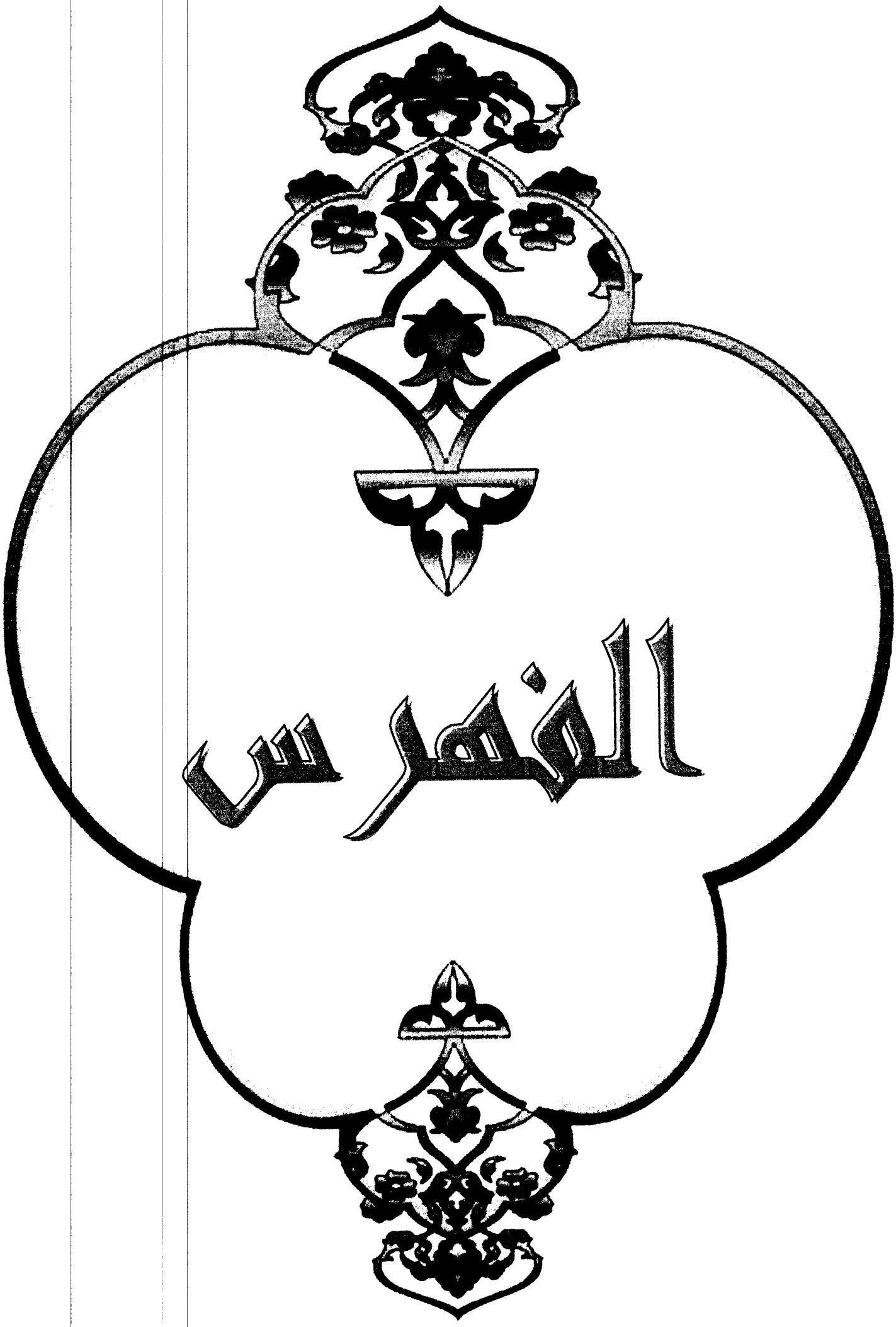
الفهرس

الفهرس:

العنوان	الصفحة
الإهداء	
التشكرات	
المقدمة	أ
المدخل	08
المجتمع الطبيعي و التاريخي	09
النوع و المجتمع	11
الفصل الأول: الحضارة و البعث الحضاري	14
تعريف الحضارة لغويا	15
الحضارة في الاصطلاح الغربي	16
مفهوم الحارة عند ابن خلدون	24
النهضة و البعث الحضاري	30
البعث الحضاري في التجديد و الإحياء	40
الفصل الثاني: مالك بن نبي و البعث الحضاري	50
المولد و النشأة	51
مفهوم الحارة عند مالك بن نبي	64
الدورة الحضارية	72
البعث الحضاري عند مالك بن نبي	81
خاتمة	111
المصادر و المراجع	